1)- تأسيس مراكز الآباء والأخوات البيض في الجنوب الشرقي

أ)- وصول الآباء والأخوات البيض إلى ورقلة وتقرت :

مع مطلع الخمسينات من القرن التاسع عشر،كثفت فرنسا من إرسال البعثات التنصيرية إلى الصحراء ،حيث بدأت أولى الاتصالات بين فرنسا والتوارق من خلال البعثات ،التي كان ظاهرها خدمة المعرفة العلمية ،وباطنها التجسس على مقدرات المنطقة البشرية والعسكرية [1].وظهر معها انتصاب رجال الكنيسة الكاثوليكية برجالها ونسائها في مناطق عديد من الجنوب مثل بسكرة وغرداية وتمنراست وورقلة والمنيعة وبني عباس وغيرها.

لقد قيل عن لافيجري إنه كان يؤمن بفتح الصحراء في وجه فرنسا،لكنه رأى أن أكبر عائق في وجه فرنسا هناك هو الإسلام،ولذلك ألف الإرساليات التنصيرية ومن هنا ظهرت فكرة جمعية الآباء البيض للصحراء .

وذكرنا أنه كان لقدوم الأب "ريشار"(R ,chard) مع زميله "كيرمايون" (Kermaben) القادمين من مدينة غدامس على الحدود الليبية إلى منطقة وادي ريغ

([1]) الغالي غربي: (ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية) ، مجلة الرؤية ،ع1،جانفي،1996م ،ص110.

الـــــــــدور الـــــبارز فـــــي رسم التواجد الأول للآباء البيض فـــــي ورقـــــلـــــة [1]. بعد إعطاء الكـــاردينال لافـــــــيجري تعليـــــماته بإيـــــقاف البـــــــعثات الاستكشـــــافية الدينية هناك، بـــعد إعـــــدام الآباء الثلاثة: بولمييه (Paulmen) ومينـــــــــوري(Menod) "بوشـــــار"(Bouchad).الـــــــمتوجهين إلى منطقة الهقار.

وقـــــد تـــأســـست مـــــــــركـــــــزيـــــــة لـــهـــــــــؤلاء الآبـــــــاء فـــــي ورقـــلة مند سنة 1873م بمنطقة سوق الحجر(وسط مدينة ورقلة حاليا) وبـــاشرت نشاطاتها هناك إلى غاية 1881م حـــــينما توقـــــفت بسبب ثورة بوعمامة ،ولم ترجع هذه المركزية إلا بعد 1891م حين هدأت الأمور [2] ،كـــان بهـــــــذا المركز أربعة من الآباء (القســـــاوسة) ،وكما أنشأ بـــــها دارا للأيتام ومدرسة يتردد عـــــليها سبعـــــــــون تـــلـــمـــيـــذا وعـــــدد غـــيـــر تـــابـــت من كبار السن، وكان لهـــــا أيضا مصحة وورشة للنســـــيج وأخـــــــرى للصـــــوف وثـــــالـــــثة للنجارة ،ومنشآت للأسمنت ، بالإضافة إلى ورشة للخـــــــــــــياطة الـــتي يـــــتخرج منها الشباب بعد فترة طويـــــلـــــة مـــــن الملاحظة والتجـــــربة ، كما أستقطب هـــــــــذا المركـــــــز عـــــــــدد مـــــن الأطفال اليتامى بإضافـــــــــة إلى بـــــعض العـــــبـــيـــــد الـــــــذين أتى بـــهـــــم الآبـــــــاء البـــــيض من أجل دمجهم في هذه المراكز[3].

هـــــــذا المركـــــــز شـــــهـــــد تـــــطـــــورا ســـــريـــــعـــا مـــــع الأيـــــام، فـــــأصبـــــحت تقـــــام بـــــه نـــــدوات أســـــــبوعية

([1]) إبراهيم مياسي ،مرجع سابق ، ص 425.

([2]) مزيان سعيدي ، مرجع سابق ،ص 51 .

([3]) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 130.

سينمائية للتعليم والتوجيه والترفيه ،وسرعان ما أصبح الآباء يملكون هناك البساتين والنخيل واهتموا بتربية الحيوانات الأليفة [1]، بعدها قام الآباء بحفر أول بئر ارتوازية تمد منطقة ورقلة بالمياه الصالحة للشرب، وأخذوا يتوسعون، وبدعم من الهيئات العسكرية حصلوا على عديد الامتيازات خاصة في منطقة "بامنديل " شرق المدينة، فغرسوا النخيل والأشجار وحفروا الأبار[2]،وكانت الحكومة الفرنسية تحميهم ولا تفوت الفرصة إلا وتثني عليهم وتمدهم بالمساعدات ،وهم بدورهم يفتحون لها الطريق ويقدمون لها المعلومات الضرورية عن القوافل والثروات والزوار وغير ذلك .

أما الأخوات البيض فقد أنشأن في ورقلة مركزا سنة 1912م به ثمانية أخوات أقمن مشاريع لإجتداب النساء والتغلغل في المجتمع الصحراوي ،وكانت لهن مدرسة بها ورشة تأوي أكثر من 200 تلميذة ، لنسج الزرابي وغيرها من الصوف والوبر، وكانت لهذه الزرابي سمعة تجارية رائجة حتى خارج حدود الجزائر، وكانت الورشة النسوية تصنع أيضا المخدات والبرانس وغيرها ، فكان عدد المنخرطين في هذه المراكز في تزايد ملحوظ حتى وصل إلى 362 منخرط ، فما كان يقدم للمنخرطين داخل هذه المراكز يستحيل الحصول عليه خارجها ،فعلى

(1) أبو القاسم سعد الله ،نفسه ، ص176.

(2) مزيان سعيدي، المرجع السابق ،ص 51 .

سبيل المثال مادة الصوف المستخدمة في النسيج داخل هذه المراكز تأتي مغزولة من طرف البنات المكونات من الأخوات البيض تلك البنات اللاتي يعملن بتفان منقطع النضير.

كما كان التلاميذ يتحصلون في هذه المهن على خيوط أقوى وأرق والين من غيرها ،وهذا ما يسمح بخياطة أجود أنواع الكتان.

ولافت للانتباه أن مركز مدينة ورقلة كان يضم في بعض ورشاته عدد من أبناء الكولون الأصليين قام الآباء، البيض إقحامهم في مصانع الخزف الصغيرة والإسمنت حيث أن مواده لاقت رواجا في الأسواق الجنوبية[1]،حيث أنه في زيارة للحاكم العام عام 1922م للمشاغل السالفة الذكر بمنطقة وادي ريغ قام بتشجيع الآباء على تلك المشاريع وطالبهم بالعمل أكثر، مشددا على إيجاد أنماط تعليم خلقية وتكوين فلاحي يكون متلائما مع الشروط الخاصة بثقافة الواحات واعدا إياهم بدعم أكثر[2].

وفي وقت متأخر من سنة 1931م فتحت ورشة جديدة للنساء المتزوجات للعمل في مجال النسيج ، ومصحة طبية بالقرب منها كان يقصدها في سنة واحدة 3600 مريضا واكتر من 400 مريضا يعالج في المنازل ومع مرور الوقت بلغ عدد الطلاب في الحجرات 500طالب ذكورا وإناث[3]. تلك اليد العاملة والمتعلمة

([1]) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص130.

([2]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ،**ص** 401.

([3]) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص402.

بمراكز الآباء والأخوات البيض بورقلة كانت تنمو وتتطور بسرعة، وهذا ما أدى إلى دعمها وتشجيعها من الجهات العسكرية بتلك النواحي .

وكان النموذج الموجود في ورقلة هو نفسه الموجود في غيرها من المناطق الصحراوية – مصحة ومدرسة وورشة ومصنوعات محلية وتوزيع أغدية وملابس باسم الأعمال الخيرية – ووراء كل ذلك يجري التجسس على الناس ،والتعرف على أنماط تفكيرهم وعقائدهم وعلاقاتهم للإستحواذ عليهم وتمهيد الطريق لتنصيرهم وكان رئيس المركز الكاثوليكي في ورقلة الأب "روبان " [1].

وكل ذلك كان تحت شعارالدعوة إلى المسيحية وإخراج السكان من التخلف وربطهم بالثقافة الفرنسية وهنا يقول العقيد "دي بورث دانيللاي" عن دورالآباء والأخوات البيض في الجنوب إنه يشبه دور الجامعة اليسوعية في بيروت[2].

ففي مدينة ورقلة يتبين التعاون الوثيق بين الآباء البيض والسلطة العسكرية وهذا ما تجلى في كون الآباء يضمنون الخدمات الدينية ، وقائد الحامية يشرف على حمايتهم في حال وقوع أي طارئ.

كما تجلى هذا التعاون أيضا في مشروع " الحملة الكبيرة للتهدئة " الذي أطلقه هؤلاء المنصرين بمساعدة القيادة

(1) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص13.

(2) خديجة بقطاش ، مرجع سابق ،ص 61.

العسكرية في 1960م عندما أشتد لهيب الثورة بالمنطقة هذا المشروع الذي هذف إلى إنشاء مراكز اجتماعية في كل مكان مع منح القروض لأصحاب تلك المراكز من المسيحيين ،فقد قام الآباء والأخوات البيض بتلك الأعمال لهدف واحد وهو تكتيف تواجدهم في هذه المناطق ومحاولة صرف السكان عن مجابهة قوات الإحتلال [1].

وهذا برغم من مزاعمهم التي منها أنهم ليسوا في مهمة رسمية كونها منوطه بالسلطات الفرنسية وعلى وجه الخصوص السلطات العسكرية ، أما مجال إلغاء الرق والذي كانت مدينة ورقلة سوقا رئيسية فيه ،فرأى الآباء البيض آن الوسيلة الوحيدة التي بإمكانهم استعمالها هي الإحسان وإخلاصهم في خدمة ضحايا الرق
والذين بمرور الوقت يّصيرون كثرا حول هذه المراكز ،حيت انه يصبح من الضروري القيام بخدمتهم على أحسن وجه وتعليمهم اللغة الفرنسية ومبادئ المسيحية بصفة تدريجية وبهذه الكيفية تبدأ تطبيقاتهم التي ستكون بمثابة قطرة زيت تمتد وتتسع عبر الصحراء الكبرى[2].

جدول رقم [2] : يبين معطيات أهم مراكز الآباء البيض بالجنوب الشرقي مع تطور ها بمرور الوقت من سنوات تأسيسها [3].

([1]) إبراهيم مياسي ،مرجع سابق ،ص 402.

([2]) مزيان سعيدي ، مرجع سابق ،388 .

([3]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ،ص ص ص451.393. 511.

المناطق	التأسيس	عدد الآباء	عدد الأيتام	عدد المدارس	المنخرطين	المعلمين
ورقلة	1873	04	12	90	362	11
غرداية	1884	03	76	85	_	08
المنيعة	1892	04	81_	39	_	31
متليلي	1882	03	–	_	–	_
تمنراست	1905	02	–	_	–	_

كان الشروع في تأسيس مراكز الآباء البيض بالجنوب الشرقي من مدينة ورقلة بداية من1873م حينما حل بها أربعة منصرين ، وبلغ عدد الأيتام 12 طفلا عند إفتتاحها، أما عدد المدارس فجاوز80مدرسة مع مرور الوقت حتى بلغ عدد المنخرطين فيها ذكورا وإناثا500منخرط ، أما في مدينة متليلي فكان دخول الأباء البيض إليها سنة 1882م تلاها تنصبهم في غرداية بحلول 1884م حينما أسس بها ثلاثة أباء مركزا في باب الراعي ،بلغ عدد الأيتام بها سنة 1928م 76 يتيما أما عدد المدارس فبلغ 85مدرسة من نفس السنة ،أما مركز المنيعة فيعود تأسيسه إلى سنة 1892م ،بعدها إلتحق به 4 أباء وبعد إنشاء دار الأيتام سنة1921م بلغ عدد الأيتام بها بعد 10سنوات 81 طفلا وعدد مدارسها 39

مدرسة.أمـــــا مركز تمنراست فيعود تأسيسه على يد شـــــــارل دو فوكو سنة 1905م[1].

ب)- تنصيب الآبـــــــــــاء و الأخـــــوات الـــبـــيض في مـــيـــزاب و المنيعة:

1 – مـــــــــــــــــيزاب :

([1])Antony Plilipe ,Missions Des Peres Blans (Tunisie, Algerie,Kabyle,Sahara),Avril 1931,Ed.Dillem, Et ce.Paris,P152.

وصل الآباء البيض إلى غرداية يوم 15 جانفي 1884م ، و لم يجدوا مأوى إلا منزل اكتروه من يهودي هو إسحاق بن داود في حي اليهود الواقع في الجهة الغربية من القصر، و كان اليهود مسرورين عند رؤيتهم في وسطهم ، و بالعكس فإنهم وجدوا استقبالا مزعجا نوعا ما من السلطات الفرنسية.

و في 24 جانفي بدأ الآباء البيض بشكل مباشر تحويل منزلهم إلى مدرسة مما أدى إلى ضغوطات من القائد الفرنسي. و نظرا لكون المنزل مهدد بالانهيار، بحث الآباء عن ترخيص لشراء أرض أدت إلى تهرب القائد.و بعد شهور من المحاولات،ومع تغير القائد في أفريل 1886م،أعطيت الموافقة على بناء المنزل الجديد في جبل باب صالح بجانب البريد القديم(كان برجا للمراقبة بجانب مقبرة بابا صالح) في 01 جويلية، لكنهم بقوا في حي اليهود إلى غاية رحليهم منه في 03 فيفري 1887م[1].

أما الأخوات البيض فيرجع وصولهن إلى غرداية في27 ديسمبر1892م ، وهن الأم جوزفين (Joséphine)، الأخت لويز(Louise) و الأخت كلوتيلد(Clotilde) و الأخت من كنيست القديس سان لوك (Luc) ، وكان

(1) من الأرشيف غير المصنف بمكتبة البحوث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية،يحتوى ملفا مرقما تحت عنوان: Ghardaia ,école des Péres Blancs 1884-1976 ,P1-2

بانتظارهن الآباء البيض، و قد أقامت الأخوات في بيت صغيرة في شارع "عفافرة"، و بدأن بشكل مباشر لنواة عيادة في 21 جانفي 1893م وجمعن بعض بنات الحي لانطلاق معمل الخياطة في مسكن لا يبعد سوى أمتار من إقامتهن[1].

بقيت الأخوات سنتين في زقاق "العفافرة"، و في هذه الفترة ؛ أي 1895 م بني مستشفى القديس مادلين (Madeleine) في تيضفت (المركز الثقافي للوثائق الصحراوية حاليا)، الذي دام إلى وقت طويل ، و الأخوات أقمن في جناح غير تام مخصص لهن في هذا المستشفى في 22 أكتوبر 1884م .

و في عام 1900م تم تحويل المستشفى العسكري من البرج (القيادة العسكرية) إلى تيضفت، و هو على مقربة من مستشفى القديس مادلين لأجل السماح للمصلحة بعلاج المرضى ، ثم منحه إلى الأخوات[2].

بحلول شهر ماي 1902م قام الآباء نوات (Nouet) ولوماتر(Lemaitre) و دافيد (David)،

([1]) أبو القاسم سعد الله ،مرجع سابق ،ص131.

([2])Ghardaia ,école des Péres Blancs 1884-1976 ,Op cit,P1-2

بشراء المسكن الحالي للآباء البيض في حي باب الراعي (الحفرة) الكائن بوسط المدينة ، الذي أقاموا فيه عيادة و قسما لتقريب المسافة بين المدرسة القديمة في" بابا صالح"، و أحياء المزابيين. و في الحال بحثوا عن مسكن للأخوات في الغابة [1].

و في 29 جوان أقامت الأخوات مؤقتا في منزل في مكان يسمى البئر (بجانب الموضع الحالي للمركز الثقافي للوثائق الصحراوية الذي كان تابعا لهم)، الذي لا توجد به إلا غرفة واحدة، و هي تارة للعبادة و للتجمع و للأكل و مرقد في الليل وشبه مضجع لرئيسة الدير مارسيان (Marcienne) [2].

و في ربيع 1904م تم شراء قطعة أرضية و تحوطيها في الواحة، و هذا المنزل تم بنائه بسرعة خارقة بإرادة الأبوين "قورين ودافيد"، وكان الآباء قد إستغلوا شجارا وقع بين جارين نتج عنه بيع أحدهما قطعة الأرض للمنصرين، بعدها إستحدث الآباء مركزا آخرا في "ماركانتي" الذي كان مقر الأخوات وهو عبارة عن مستوصف [3]، حاول بعدها الآباء الإقامة

([1]) عبد القادر قوبع ،الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي(1920-1954م).رسالة ماجستير،إشراف عويمرمولود،2007-2008م،جامعة الجزائر،بوزيعة،،ص90.

([2]) Sœur Blanch :Quelque Souvenir sur le poste de Ghardaia,Document numéro :01.230.000.11,Doc :X160G Paris ,PP1-2.

([3]) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 131

في القرية المزابية "بني يزقن" عندما إكتروا دارافيها، لكن وقفات الشيخ أطفيش ضدهم عندما أمر السكان بسد بابها إن هم باتوا فيها أخلط أوراق الآباء البيض.

وفي جانفي 1914م، تقدمت جماعة من المزابيين بشكوى إلى للسلطات الفرنسية ضد قيام المنصرين منذ منتصف ديسمبر البحث عن محل البلدة قصد شرائه أو كرائه،وفي 1916م عينت المقاطعة الإدارية الفرنسية الأب "دافيد" مدبرا رسوليا بالمنطقة الذي ما لبث حتى خلفه الأب نوات (Nouet)، الذي استمر في مهمته إلى غاية 1941 وتعيين الأب مورسي(Mercier) خليفة له ، أما رئيسة جماعة الأخوات فكانت الأم جيرار(Gérard) .

لقد واجه الآباء البيض عدة صعوبات في بداية الأمر أثناء محاولة تمركزهم في غرداية ، ولم يقتصر الأمر على معارضة الهيئات الرسمية الفرنسية التي تخوفت من رد فعل غير متوقع من السكان[1].

2 - تنصيب الآباء والأخوات في المنيعة:

لتركيز التنصير في جنوب الجزائر فكر المنصرون في إنشاء قاعدة إستراتيجية في قلب الصحراء مند 1892م حين قام الأسقف تولوت (Touloute) بزيارة إلى المنيعة حيث قام بإنشاء أول مركز للمنصرين قبل أن يغادر

(1) Sœur Blanch ,Op cit ،P8.

المـــــــدينة في مـــــــــاي 1894 واستغل هـــــــذا المركز من طرف الآباء ماشراك (Macherek) وباربـــــــــــــي (Barbé)،لكن تم غلقه من جديد في سبتمبر 1913م.

قـــــام الآبـــاء بمجهودات لتشيد المدارس والمصـــــــــــحات للأطـــــــــــفال من خـــلال تقـــــريبها من القبائل التي كان جلها من البدو الرحل،كما طور البساتين لمحـــاولة جلب اليد الـــــعاملة،وفي الـــــمحصلـــــــة أدت تـــــلك الأعـــــــمـــــال إلـــــى تـــــــجـــمـــــع الأطـــــفـــــال والشـــــبـــــــاب حـــــــول الآبـــاء الـــبيض الدين استغلوا الوضع لتوزيع الأطعمة والثياب لجذب العائلات أكثر ،لكن المركز هجر من جديد إلى غاية استعادة العمل به في 1920م[1].

لقـــد شهدت سنة 1919م مـــــجاعة ، مما أدى إلى تكـــوين العديد من الأطفال اليتامى في منطقة الأغواط ، لتقوم الحـــكومة العـــــــامة للجـــزائـــر بالتكفل بـــهـــــــــــــــؤلاء الأطـــــــفال ، والطلـــب من الـــمدبر الـــــــــــرسولي للـــصحراء "نـــــوات" استقـــــــبالـــــهـــــــم ومـــــســــــــاعدتهم ، مـــــن جـــــهـــة أخـــــرى ونتيجة لتدهور وضعية الأطفال اليتامى بـــــمـــــركـــــــز الأغـــــــــــواط ومـــــــناطـــــــق أخـــــــــرى وقـــــــــع الاختـــــتـــــيـــــــار على المنيعة لإنشـــــــاء دار للأيـــــتـــــــــام الـــريفية ، وتـــــــــم دعوة الأخوات البيض لتتكفلن بالبنات اليتيمات وهـــــــــــــو ماتم حيت تـــــوافدت الأخوات للإقامة بالمنيعـــــــة بـــعـــــد تـــأســـيس دار الأيـــــتام في 1921م بها البنـــظر لمـــــــــــوقـــــــعـــــها الإستراتيجي حيت تعتبر ممرا

(1)Antony Plilipe,Op cit,P331

لـــقاصدي أعمـــاق الصـــــحراء للوصـــــول لمختلف الواحات يضـــــاف لها مباركة الكنيسة لهدا الموقع[1].

إختـــــار الآبـــــاء قـــــطـــع أراضـــي في سهـــل يسمى "بلبشيـــــر" لإسكان هـــؤلاء الـمنصـــرين مع وضع منزل وهكتار أرض تحت تصرف كل أسرة ، حيث تم تكوين عدة عائـلات فكان أول زواج وقـــــع بالمركـــــز في1927م ، فـــأصبـح أطـــفـــال دار اليـــتـــامـــى يـــكـــثـــرون ، وتـــم عقد للأزواج حتى كونت 20 عائلة مـسيحية قرية صغيرة حول قبردو فوكو(De Foucauld) حتـــى وصـــل عـــــــدد الأطـــفال الـــمسـيحيـــين 30 طـــفلا[2].

إعـــتـــمـــد الـــمـنصـرون على قـــاعدة الاحـتـــراز فـــي هـــاته المؤسسة ، فالأطفال اليتامى لا يتم تنصيرهم حتى سن السابعة عـشر أو الثـــامـــنـــة عـــشـــر عـــنـــدمـا يـعـــرفون بعمق ويمـارسون تعاليم الـدين المسيحي . فـسكان هاته القريـــة الـمسيحية للصحراويـــة كـانت تحـت رعـــاية الـقديس جـوزيف ،وقـد نـقل عن المـنصرين أن الأطفـال كانو متدينين وأن أغلبـــيتهم يعترفون بذنوهم كـل شهر ،ويتناولون الـقربان مرة أو مرتين في الأسبوع ، وعـــــدد أخـــــر معتبر يعترفون بـذنـــوبهـــم فـي كـــل ثـــمـــانـــيـــة أو خـــمســـة عشر

(1) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ،ص 123.

(2)Antony Plilipe,Op cit,P332.

يـــوما،كما شـــاتكت الأمهـــــات صغيرات السن في جمع التبرعات في اليوم "ألتنصيـــــري" حيت جمع 411 فرنك فرنسي[1].

هـــــــــذا وأختار الـــــمنصـــــــرون أرضـــــــا واسعة فـــــي هـــــذه الـــناحـــية جعلوها مقبرة للمتنصرين لاتزال قائمة إلى يـــــــومنا هـــــــدا سموها ســـــــان جـــــــــــوزيف[*](Sant joseph) والتي نقل إليـــهـــا رفـــــــات شارل دوفوكو.

وقـــــــــد دشنت فرنسا هـــــده المقبرة في الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر ســـنة 1930م وأقـــــيـــــم إحتفـــــال كـــبـــيـــر حضـــــره أنـــــداك رئـــــيس بـــــلـــــديـــــة الـــجـــزائر "رونـــيس" ،وجمـــــع كـــبير من الجنرالات وأساقـــفـــــة من الفاتـــــيـــكـــــان ورجـــــــــــال الـــــديـــــن مـــــن فـــــرنسا، وغـــيرها من الـــدول وحكام المـــناطق الصحراوية[2].

رغـــــــــم الـــعدد الكبير لـــــــلأيـــتام إلا أن عـــــدد المنصـــــرين من السكان الأصليين قليل ،حيت كان هـــــــناك مسيحيين إثنين راشدين فـــــقـــــــط ســـنة 1910م،ومنذ ذلك الوقت عرف المنصرون عدة صعـــــــوبات سببت لهـــم عـــــرقلة فـــي نشـــاطـــهـــم لبعض الـــوقت، ولـــقد اعتبـــــرت المنيعـــة أنـــــــــــــــــذاك المنطقة الوحيدة التي تحفل بعمل المنصرين ، فكان الآباء يوسعون مهمتهم التنصيرية في الواحـــات

([1])عمر داود ، زينب عيسى : الهوية الثقافية الجزائرية والمراكز التعليمية اللاباء البيض ،مذكرة لنيل شهادة الليسانس في علم الاجتماع ،تخصص تربوي ،المركز الجامعي لغرداية ،الموسم الجامعي ، 1429-1430ه/2008- ص54.

(*) أنظر الملحق رقم (11)

([2])عمر داود ، زينب عيسى ،المرجع سابق،ص 83.

والضواحي الصغيرة في الصحراء : تيميمون الواقعة جنوب المنيعة ، وأدرار وعين صالح وتمنراست، حيث كان كل أب بمركز المنيعة يقوم برحلة وأحيانا رحلتين في السنة، لنقل المساعدات الدينية للضباط والجنود والموظفين.

لذلك كان هذا المركز الذي ينطلق منه الآباء البيض لتوسيع مهمتهم التنصيرية في مناطق البدو الرحل عن طريق الخدمات الطبية والتعليم.

فشهدت الصحراء مع مرور السنوات موجة توافد كبيرة للآباء والأخوات البيض إلى أن وصل عددهم بمجموع مراكز الصحراء بحلول سنة 1930م،سبع وعشرون (27) أبا ،وأربع وأربعون (44) أختا، يساعدهم واعظان أهليان ومعهم خمسون متنصرا جديدا ، وواحد وخمسون أهليا في طريق التنصير والجدول التالي يوضح عدد المتنصرين كعينة في منطقتين من الصحراء الجزائرية:الجدول رقم (3) [1].

المركز	التأسيس	الأخوات	الأباء	عدد المنصرين	في طريق التنصير
غرداية	1884	8	3	8	16
المنيعة	1892	5	4	31	36

[1] عمر داود ، زينب عيسى ،مرجع سابق،ص 84.

ج) – وصول الآباء والأخوات البيض إلى عين صالح ومنطقة الهقار:

تعود أولى بدايات توافد الإرساليات التنصيرية إلى منطقة الهقار إلى سنة 1879م ، حين قام الأب "ريشار" مع زميله "كيرمايون" بجولة استكشافية ضمن بعثات الآباء البيض إلى المنطقة الهقار بدعم من الكاردينال لافيجري ومما ساعد هؤلاء الدخلاء التعاون والإرشاد الذي لقوه من طرف توارق "إيفوغاس" كونهم أعرف الناس بمنطقة الهقار.

وقد كانت بعثة الأب ريشار قد انطلقت من مدينة غدامس أواخر ديسمبر 1879م متوجهة إلى المناطق القريبة من جنوب وادي ريغ لكنها انصرفت عن مسارها ليتوجه ريشار إلى أقصى الجنوب، حينما حل بوادي تيكا ملت شمال غرب مدينة غات ودامت تلك الرحلة 56يوما[1]،أقامت خلالها هذه البعثة علاقات ودية مع التوارق تمهيد لتنصيب مراكز للتنصير في تلك المناطق العذراء .

(1) إسماعيل العربي ، مرجع سابق ،110 .

ومع حلول ديسمبر 1881م عاود الأب ريشار رحلته إلى تلك المناطق برفقة صديقيه الأب مورات (Morat) ،وبوبلار(Pouplard)، لكن هؤلاء الآباء قتلوا بعد أيام قليلة من إنطاقهم من منطقة الهقار متوجهين إلى مدينة غدامس ،وكانت نهايتهم على يد الطوارق ووجدت جثثهم على ربوة صغيرة تدعى "تين كوفار"(*).

لتتوقف حركة البعثات التنصيرية لفترة من الزمن بعد هذه الحادثة لتعاود الظهور مع شخصية المنصر شارل دو فوكو والذي سوف يفني عمره في خدمة أهداف الكنيسة وتثبيت تواجدها هناك.وقد تقاطعت جل الكتابات التي تناولت نشاط هذه الشخصية الغريبة الأطوار، لهذا سنستعرض أهم المحطات التي رسمها شارل دو فوكو في منطقة الهقار[1].

- <u>وصول شارل دو فوكو الى تمنراست :</u>

بعد إذن الآباء البيض- بعثات الكاردينال لافيجري- لدو فوكو بالإقامة في الصحراء وممارسة نشاطه التنصيري والتنسيق معهم ، وبالأخص الأب الروحي بازان (Bazant)(*)، هذا الأخير الذي كانت البعثات

(*) توجد هذه الربوة في الطريق الصحراوي الذي يستخدمه التجار في حركتهم من الهقار الى مدينة غدامس الليبية .أنظر إبراهيم مياسي ،ص 158.

([1]) عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ،119.

التنصيرية في الصحراء تحت إمرته وبعد مراسلات عديدة من صديقه هنري لابرين (Henri la Perrine)(**)، قرر شارل دي فوكو السفر في جوان 1905م إلى قلب الصحراء [1]،باتجاه مدينة تمنراست التي حل بها يوم 16 أوت 1905م وكان بصحبته في هذه الرحلة بعض التوارق وخادمه "بول مرابو" (Paul Marabout) (***) والقائد العسكري ديتوكس(Dimaux) وجنود فرنسيس ،وكانت هذه الزيارة الثانية التي تقود دوفوكو الى المنطقة ، وأخذ في تعلم اللهجة التارقية حتى أصدر معجما عنها .

منذ الوهلة الأولى حرص دوفوكو على إقامة مركز للآباء البيض في المدينة وأنشئ ديرا متعددة للعبادة واستقبال الضيوف وعلاج المرضى ومما ساعده على اختراق المجتمع التارقي إتقانه للعربية وحرصه على تعلم اللهجة التارقية.

كرس دو فوكو حياته لاختراق المجتمع ومعرفة حياة أهله نساء ورجالا شيوخا وأطفالا، وبدأ في تعليمهم أشياء كانوا يجهلونها كالخياطة والنسيج وبناء

(*) بازان هو الممثل الدائم للبعثات التي كان يرسلها الكاردينال لافيجري إلى الصحراء إتخذ من مدينة بني عباس في أقصى الجنوب الغربي مقرا لإقامته . أنظر ، أبو القاسم سعدالله،مرجع سابق ،ص 133.

(**) كان يشغل منصب القائد الأعلى للقوات الفرنسية بمنطقة الواحات بالصحراء الجزائرية. أنظر ، أبو القاسم سعدالله،نفسه،ص123.

(***) بول هو طفل صغير أختطفه شارل دو فوكو من منطقة بني عباس في نواحي مدينة بشار في أقصى الجنوب الغربي للجزائر ،كان قد حل دي فوكو بتلك المنطقة في فترة 1902-1905م وأختتم تواجده هناك بخطفه الطفل بول واخذه معه إلى مدينة تمنراست ،وأسمه الحقيقي هو مبارك رابط ما أن كبر وبلغ سن الرشد حتى تمرد على خاطفه فوكو ،وقد عاش إلى عام 1973م بمدينة تمنراست.أنظر ، عبد السلام بوشارب ،المرجع السابق،ص 111.

([1]) عبد السلام بوشارب ، نفسه ،ص 110.

المنازل ذات الأربعة جـــــــدران وصولا إلـــى حـــــرفة الزراعة ، حيت أنشاء حقــلين بـــالقرب مـــن مركزه لـمزاولة نشاطه الـــــــــزراعي، من غرس للـــــــخضر والفواكه وبـــــعض شجيـــــرات النخيل ، كل تلك الأمــور كانت ممهدة لمرحلة ثانية وهي تنصير السكان العزل وتطويعهم ليتقبلوا الاحتلال بينهم[1].

لـــــــم يـــكـــن دو فـــــوكو دائم الـــــمـــــقام في تمنراست بـــل كان يتجول فـــي الصحراء الـممتدة مـــــن بـــني عـــباس التي أنشاء بها مـــــــركـــــزا للـــــتنصير في 1902م، إلـــــى الـمنيعة وعين صـــالح ناهييك عن خرجاته إلى المغرب الأقصى بين الحين والأخر.

- **شـــــارل دو فـــــوكـــــو بمـــــدينة عـــين صالح:**

حل شارل دو فوكو في مدينة عين صالح ومكث بها ثلاثة أشهر بين قبائل التوارق كمستكشف ، مثل مـــــا فـــــعل ســـــابـــقا فـــــي الـــــــــمغرب حـــــيث يسجل الـــــمـــعـــلـــومات عـــن الأهالي ويـــرسم المخططـــات ويتعـــلم اللهجة المحلية لغة تخاطب التوارق يقـــول شارل دو فوكو(...إن ســـكان المنطقة كسكان المغرب ، يتحدثون لهجتهم المحلية الـــــبربرية اكثر من تحدثهم اللغة العربية ،هذه اللهجة هي اللغة القديمة لشمال إفريقيا ...لقد تعلمتـــها سابقا ونسيـــــتها ، وإنـــني بـــصدد تعلمها لأتمكن من التحدث مع الجميع)[2] .

انتقل دوفـــــوكو بـــعـــــــدها إلى المنيـــــعـــــة أوآخـــر سنة 1904م ومـــكث عند الآباء الـــبيض هـــــناك عـــدة أســـابيع حتـــى جـــانفي

(1) عبد السلام بوشارب ،مرجع سابق ،ص 109.

(2) بوشارب عبد السلام ، نفسه ،ص 109.

1905م ، ثم إنتقل إلى مركز الآباء البيض في مدينة غرداية ، والذين تباحث معهم حول مشروع التنصير لسكان الصحراء ، أقام دو فوكو بغرداية صداقات حميمة مع القائد العسكري لهذه المنطقة وهو دي سيسبال (Du susbielle) الذي كان كثيرا ما يدعوه إلى مائدته. فكما كان دو فوكو معروفا للقنصليات الأجنبية كان معروفا للمكاتب العربية والمراكز العسكرية بالصحراء [1].

وقد صادفت عودته سنة 1907م إلى مدينة تمنراست مجاعة ألمت بسكان منطقة الهقار، فأستغل دوفوكو هذا الوضع لزرع سمومه وكسب ود السكان ، فوزع الغذاء من قمح وشعير وثمر على المعوزين بعد ما يلقي في كل جمع كلام معسولا عن فرنسا الإستعمارية،فأصبح دو فوكو يحظى بإحترامهم لبساطتهم وسذاجتهم[2].

أما في فترة 1909-1910م فقد قام دو فوكو باستقدام طبيب يدعى"روبار أرسن"(Rebarercn).هذا الأخير الذي كانت تربطه به علاقة طيبة فأنشأ له مخدعا جعل منه عيادة يرتادها المرضي بمعدل 6 مرضى

(1) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق ،ص134.

(2) احميد عميراوي وأخرون، مرجع سابق ،ص 122.

يــوميا(1)، أقام الطبيب الوافد عدة شهور بالهقار يـــــــزاول مهنـــــته كطبـــــيب يـــــــــــــداوي الـــــتـــــوارق ، بالإضافــــــــة إلى الجنود العسكريين الـــــــذيـــــــن أقـــــبـــــل الكثير منهم على هذا الـــــدير بدلك على شأن الجاسوس دو فوكو بـــــين القبائل الـــــتارقية فـــــــــكـــــانـــــــوا لا يقدمون على أمر إلا وكانت له فيــــــــــه استشارة ،أما المحاور التي إرتكز إليها دو فـــــــوكو في تنصيره للسكان منطقة الهقار وبث سمومه فيها تمثلت فيما يلي :

1محاربة اللغة العربية ومحاولة طمسها هناك لأنها الوسيلة الوحيدة للتوارق للفهـــم الإسلام.

2- محاربة بناء المساجد وتصديه لأتباع الطريقة السنوسية .

3- تقديمه للهدايا والمساعدات المادية والغذائية والإستشفائية.

4- أقامته للعلاقات وطيدة مع العسكريين وتقريبه لرؤساء القبائل خدمة لنواياه.

ملجأ الإسكـــــــــــــرام والأخوات الـــــــزرق :

بـــبلوغ دوفوكو هـــــــــذه المرحلة قرر الانتقال إلى أعـــالي جبل الإسكرام(*)، الذي أختاره لإقـــــــامـــــــــة مــــــلـــــجـــاه والذي أقام به كـــنيسة صــــــغيرة لا تزال قائـــــمة إلى يـــومنا هـــــــذا، بحكم وضعها الإستراتيجي ، بـــــــالإضافــــــة إلـــى قربـــــه من الســـكان الـــذين نصـــبو خيامـــهم في السفوح المجـــاورة له،باشر دو فوكو مهامه التنصيرية به، فـــــلقــــــد كـــــــان

(1) احميد عميراوي وآخرون، نفسه ،ص 122 .

(*) هو جبل صخري يقع على بعــــــــــــد حوالي 80 كلم شمل شرقي مدينة تمنراست يبلغ إرتفاعه 2700م أختـــاره دو فوكو لخلوته . أنظر، عبد السلام بوشارب ،مرجع سابق ، ص110 .

لهذا المعبد الديني بزعامة دو فوكو أثر فاعل في تغيير الحياة الاجتماعية لهذه المنطقة حيث كان حلقة وصل بين السلطة العسكرية الفرنسية والجزائريين بالمنطقة وعاملا مساعدا في فرض الوجود العسكري هناك، فقد كان الجنود يتبركون ويصلون ويستشفون ويتقوتون من هذا الملجأ[1]، قام دو فوكو بشراء بعض العبيد وجعل بعضهم خداما له، وكان عدد الشباب المتوافد عليه يتزايد باستمرار، فأحتوى هذا المركز في البداية 08 أطفال أيتام واكثر من 60 شابا في الورشات التي أوجدها دو فوكو هناك ، يعلمهم 6 معلمين مسيحيين، كما أقام دو فوكو في نفس الفترة برجا أخر في مدخل مدينة تمنراست كان دو فوكو يؤوي إليه في فصل الشتاء ويمكث فيه حتى ينقضي الفصل[2].

بعد مقتل شارل دو فوكو على يد التوارق 1916م،واصلت جماعة الإخوة الزرق نشاطها [*]، بالمنطقة فأستقرر في الإسكرام،وأقاموا بالقرب من ملجأ شارل دو فوكو بعد فترة من الغياب عقب قتل دوفوكو كانت هذه العودة بدعم من السلطات العسكرية وبرز بذلك في هذه الفترة التعاون الوثيق بين البعثات التنصيرية ومختلف التشكيلات العسكرية فمركز الإخوة الزرق في مدخل المدينة الجنوبي كان يجود بمعلومات على الهيئات

(1) عبد السلام بوشارب ، نفسه ، ص110 .

(2)احميدة عميراوي وأخرون، مرجع سابق ،ص 125.

[*] أطلق مصطلح الأخوة الزرق إستتناء على الآباء البيض الذين كانوا ينشطون في مناطق تواجد التوارق لأنهم أتصفو بهم في محاولة لكسبهم . أنظر، عبد السلام بوشارب ،المرجع السابق ،110.

العسكرية حـــــــــول تحركات السكان ، سيـــــما وان إقـــــبـــــال التـــــوارق عـــــلى تلك المـــــــــــراكز قد شهد تـــــــــراجعا كبيرا بعـــــــد حادثـــة قـــــتل شارل دو فوكو،يصرح احد المدرسين الفرنسيين قـــــــــــائلا : (...لم يعـد التـوارق ينعتون الفرنسيين سوى باسم إيكفـــــــارون ، أي الكفار)[1] .

وبعـــــــــد فـترة الحرب العالمية الـــثانية أقام الإخـــوة الزرق مركزا ثانيا للـتنصير بمنطقة "تـــــــازوك" وقد كـــــان فـــي هذه الفترة يدير شؤون البعثات هنالك الأب "إدوارد" هـــــــــذا الأخـــير الذي كانت تربطه علاقـــــات متميـــزة مع أسقفية مدينة الأغـــــــــــــــواط[2].

(1) أبو القاسم سعد الله ،مرجع سابق ،ص 128.

(2) عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ، ص 125.

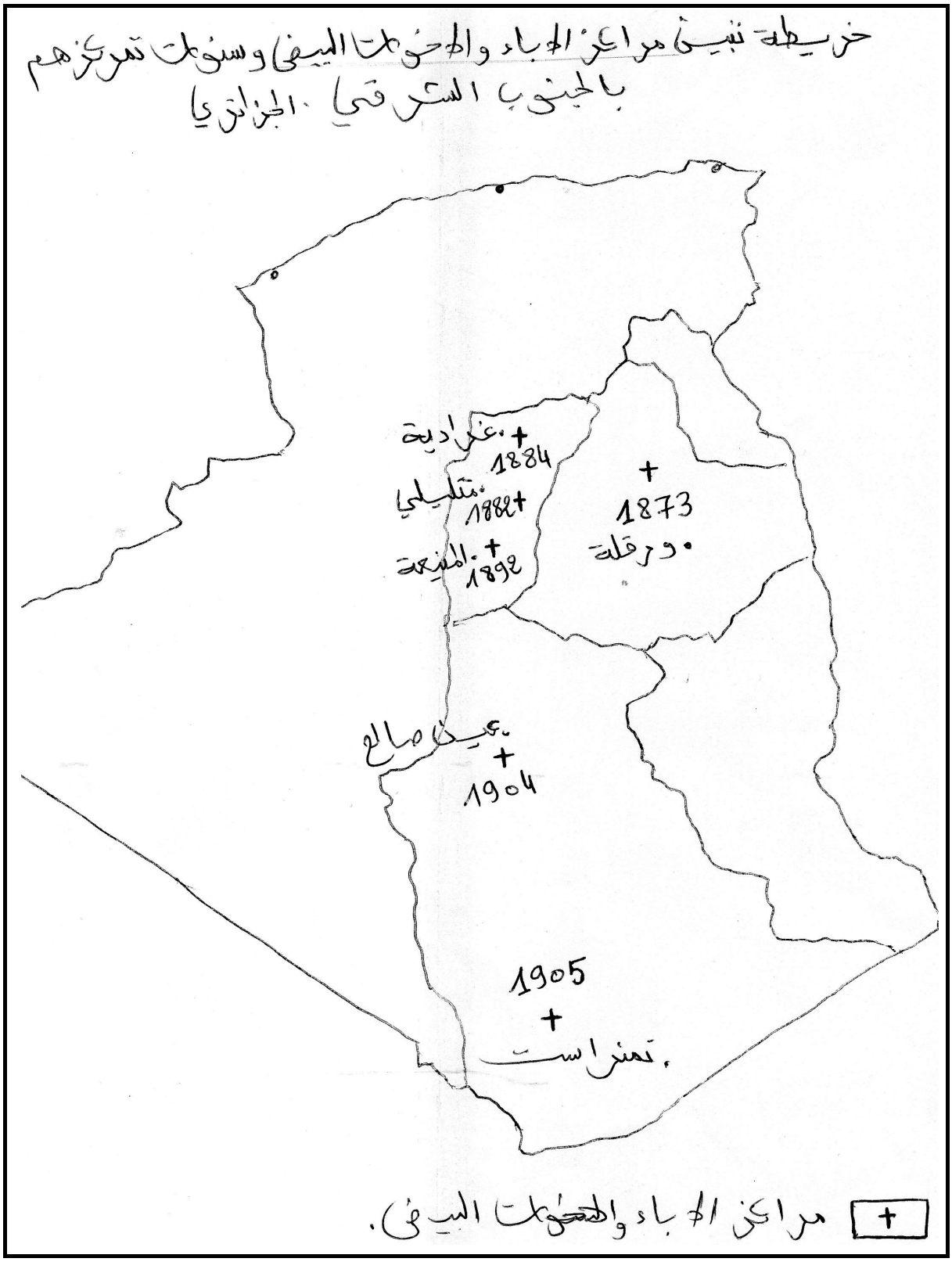

2)- ميادين نشاط الآباء و الأخوات البيض بالجنوب الشرقي

أ) – مـــــــدارس التعليـــــــــم العـــــــام:

يتجه المـــنصرون حـــيثما حلوا، قـــــصـــــد الـــدعـــوة إلى النصرانية، نحوالأطـــفال ، ويعود اهتمـــــامهم بهم إلى جملة مـــن الأســـباب ، فـــعـــن طــريق المدرسة يمكن للنمصـــرين أن يحتكوا بالسكان ،يضاف لها سهولة التأثير على الأطـــفـــال وتـــلقينـــهم مبادئ النصرانية ، بـــل وصل الأمـــر إلى تدريسهم تاريخ الكنيسة الأفريقيـــة.

وســـــرعـــان مـــا ظــهرت نـــــوايـــا الـــمنصرين المبيـــتة بعـــــد اسـتقـــــرار الآبـــــاء الـــبيـــــض في الصحراء منـــذ 1873م، حيث اهتــموا بـــادئ الأمـــر بالتعليم الذي كان همهم فيه جلب أكبر عــــــدد مــن الأطفال لغرس الأفكار التـــي حـــلوا بالمـــنطـــــقـــــة مـــن أجـــلها ، ففـــي الــبداية كـــــانـــــوا يحولون مـــقر سكناهـــم إلى أقسام ريثما يبنون أقسام ، تماشيا مع تـــــوافد الأطفال عــلى هـــــذا النوع الجديد من المـــدارس. فقـــد كـــانت مرحلة التــعليم الابتدائـــــية (*)محور التعليـــم العـــام في المـــــدارس التنصـــيـــرية، وبـــاستطاعة الأطـــــفال في تلك المناطق أن يفـــــدوا إلى هــذه المدارس التنصيرية دون حـــــدود معينة في السن ، بل أن المنصرين كـــانوا هم من يستقطب الأطـــفال فيها ، ويوزع الأطـــفـــال حـــسب أعمارهم إلى ثلاثة فئـــات: فئة كبار السن ، وفئـــة المتوسطين في السن ، وفئة صغار السن ، وبذلك

تشكل ثـــلاثة فصـــــول للتعليـــم التنصـــيري[1].وإعتمـــــادا على التقســـــيم السابق وضع المنصرون برامج خاصـــــة لـــكل فئة منهم لتعليهم مبادئ اللـــــــــــــــغة الفرنسية ،وذلك على كما يلي: الصغار يلقنون الحروف الأبجدية.

- المتوسطون يعلمون المبادئ الأولى للنحو والحساب.
- أما الكبار فيلقنون برنامجا شبيها بذلك الذي يطبق في المدارس الحكومية الفرنسية.

ففي مـــــــــدينة ورقلة وضع المنصرون في المدرسة التي أسسوهـــا برنامجييـــن، أحدهـــــــما يتعلق بالتعـــليم النظري، والـــــــــــثاني يرمي إلى تقديـــــــم معـــــــارف تطبيقية (علمية) للأطفال الذين كان عددهم عند إفتتاحها 26 طفلا [2]:

فـــــــــالتعلـــــيم الـــنظري يتضمـــن : القـــــــراءة والـــخط ومبـــادئ الـــحساب والـــــتاريـــــخ والـــــجغـــــــرافـــيا والـــــــــــغناء والموسيقي وبـــــــــــدرجة أقـــــــــــل اللغة العـــــــــــــــربية.أما التعليم التطبيقي فيشمل مـــــعارف في صـــــناعة القفف والنجارة والبستنة .

(*) تجدر الإشـــــــــــــــــــــــــــــــــــارة هنا الى ان التعليم الابتدائي في هده الحقبة كانت قسمـــــــــــــين الأول يـــــــــــــــــــدعى التعليم الإبتدائي الأول ،والثاني التعليم الإبتدائي العالي. أنظر، محمد الطاهر وعلي ،مرجع سابق ،ص89.

(1) محمد الطاهر وعلي ،نفسه ،ص136.

(2) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 123.

أما في مدينة غرداية فإن المدرسة اللائكية(العمومية) التي فتحتها السلطات الفرنسية في 23 فيفري 1885م بواسطة قائدها ديدييه(Didier) ومقرها منطقة "بيت الضيوف" طلب لها القائد 60 تلميذا فلم يلتحق بها إلا15 طفلا، وهو ما إشتكى منه الأب قريزي (Grisey) في أكتوبر 1886م فبلغ العدد36 طفلا، ونتيجة لرفض السكان إرسال أبنائهم، أصدرت السلطات الفرنسية أمرا بإجبارية التعليم، ليبلغ العدد بعد 10 سنوات 100طفل سنة1897 [1].

والجدول(3) التالي عدد التلاميذ بمدرسة الآباء بغرداية من سنة 1884-1930:

السنوات	عدد التلاميذ	العدد الذي يحضر باستمرار
23جانفي الى افريل 1884	15	-
مارس1890	50	-
ديسمبر1894	من 90 الى100	70الى 75
ديسمبر1896	-	-
1900	49	27
7فيفري 1907	من 80الى100	-
نوفبمر 1914	-	-
ن1921	73	37

([1])Ghardaia ,école des Péres Blancs 1884-1976, Op cit ,P1.

1926	63	–
1928	105	–
1930	108	–

ومنذ 1900م عرفت المدرسة توافد الأطفال ليصل العدد49 تلميذا، مما جعل الآباء البيض يخصصون أبوين كأستاذين .وبحلول 30مارس 1901م قفز الرقم إلى 91 مسجلا، منهم 66 المواظبون على الحضور،فأستأجر الآباء منزلا في "باب الراعي" أقاموا فيه قسما بدأ في استقبال التلاميذ في 18 أكتوبر 1903م[1].أما في سنتي 1921-1922م فقد تزايد عدد التلاميذ في هذه الأقسام ، خاصة مع قدوم الأب كاريسان(Carissan) والأب إميل دالرت (E.Dalleret)[*]، حيث أخذت المدرسة نفسا جديدا قي التدريس، ليرتفع العدد إلى105تلميذا كما جهز الآباء حديقة لتقديم دروس في الفلاحة.

أما الحجم الزمني في مدارس المنصرين فقد كان في حدود ثماني ساعات في اليوم أربع منها تخصص لتلقي الدروس والأربع الأخرى للمطالعة

(1) Ghardaia ,école des Péres Blancs 1884-1976,Op cit ,PP 3-4.

[*] انظر الملحق رقم :(7)

ونشاطات أخرى .والملاحظ هنا أن المنصرين يحبذون مكوث الأطفال عندهم مدة طويلة ، وهذا ما حذا بهم إلى إنشاء داخليات ملحقة بمدارسهم ، وذلك بقصد التأثير عليهم بشكل فعال في مجال دعوتهم إلى اعتناق النصرانية ، ويتضح ذلك من خلال عدم تنظيم الآباء لتعليمهم بالشكل المعروف في المدارس الفرنسية ، بل عمدوا الى تقسيم التلاميذ إلى فئات (صغار ومتوسطين وكبار) كون التعليم والتثقيف ليس هدفا في حد ذاته ، بل كل ما كان يرجى من ورائه هو الوصول إلى تنصير الأطفال، وإبعادهم عن اللغة العربية والدين الإسلامي، وهي بذلك تلتقي مع سلطات الأحتلال ، التي كان هدفها تجهيل الشعب الجزائري، ليس فقط عن طريق تحديد عدد المدارس الموجه للجزائريين ، وبل تحديد البرامج لهم عكس ما كان يقدم لأبناء المعمريين [1].

وهكذا كان هؤلاء المنصرون في واحات وقرى الصحراء يرمون من وراء برامجهم المطبقة في مدارسهم إلى نشر المسيحية عن طريق تلقين مبادئها للأطفال في مراكزهم التنصيرية .ولإضفاء طابع المسيحية على تلك البرامج عمد المنصرون إلى إتباع أساليب غير مباشرة في تحقيق هذا المسعى، كتطعيم برامج التعليم بالمسيحية ، واستخدام نصوص مستخرجة من الإنجيل في دروس تقدم للأطفال .

(1) محمد الطاهر وعلي ، مرجع سابق ، ص137.

أما تعليم البنات في أقصى الجنوب الشرقي الجزائري فقد كان متذبذبا واقتصر تواجدهن في الورشات ، ويعود ذلك للصعوبة التي لقيتها المنصرات في جلب البنات إلى مدارسهن في المجتمع التارقي [1].

ب) – مدارس التكوين المهني والنشاط الفلاحي:

يهتم التعليم المهني الذي أسسه المنصرون في مناطق الصحراء بإكساب الأطفال والشباب ببعض المهن التي كانت شائعة في ذلك الوقت وكثيرا ما كان يستجيب لخصوصيات كل منطقة[*]، وينقسم التعليم الحرفي إلى : تعليم حرفي موجه للذكور تحت إشراف الآباء وتعليم للإناث تحت إشراف الأخوات . في مدينة غرداية ومنذ استقرار الأخوات البيض في أول أمرهن فيها في جانفي 1893، جمعن بعض بنات الحي لأنطلاق معمل الخياطة في مسكن يقع على بعد لبضعة أمتار من مسكنهن ، كان يستقبل حوالي 40 فتاة أغلبهن يتعلمن الخياطة والغزل والنسيج[2].

([1]) محمد الطاهر وعلي ، نفسه ، ص 140 .

(*) في الأوساط الصحراوية كان الاهتمام بأشغال الصوف كبيرا،وأول مدرسة فتحت لصناعة الزرابي كانت ببسكرة ،تم تلتها مدارس أخرى في الأغواط والقليعة وغرداية.أنظر, أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 123.

ومنذ 1900م قامت الأخوات بالانتقال إلى " تيضيفت " بالقرب من المستشفى العسكري وتابعن العمل فيه بمعمل صغير للخياطة ، أمافي 1902م ، إنتقلت الأخوات إلى مستوصف الأخت تيوفاني(Théophanie)، الذي بدأن فيه بتعليم الخياطة، ثم بدأ المعمل يتطور شيئا فشيئا حتى سنة 1912م حين تحولت الأخوآت البيض إلى الواحة السفلى من وادي غرداية ، ونزلن في منطقة "باب الراعي" وهنا قامت الأخوات بإنشاء مركز للتكوين المهني يضم حرفة صناعة الزرابي.

كما كان يضم عدة أنشطة منها :الخياطة – الطرز– صناعة الصوف – الطبخ ومواد تعليمية عامة ، ويضم المركز قاعتين كبيرتين لصناعة الزرابي وثماني قاعات الأنشطة الأخرى على مساحة واسعة ،وهو يتكون من طابقين ، فبعض اليتيمات الصغيرات استقبلن من طرف الأخوات في الغرفة الكائنة في السطح والتي كانت في نفس الوقت قاعة للعبادة الأخوات.

وقد أصبح المركز في الثلاثينات مركزا متخصصا في تكوين البنات في شتى فنون الحياكة والتدبير المنزلي[1]، وقد شهدت مدينة غرداية سنة1925م بناء معمل ثاني من طرف الأب "ماتياس" تحتوي بناية المعمل الجديد على قاعة كبيرة للمهن ، وقسم للبنات صغيرات السن

([2]) يوسف بن بكير الحاج سعيد، مرجع سابق ،ص 63.

([1]) Ghardaia ,école des Péres Blancs 1884-1976,Op cit ,P 2

يتعلـــــــــن بـــــه مبادئ النسيــج وبه غرفـــــــة لتخزين مــادة الــصوف تتكــفل الأخــت مـــــــــــــادليـــــــن سنكوس(Madeleine Sancous) بــمعمـــــل البــنات ، ويـــــضم في ورشاته مابين 50الى 60 بنتا تتـــــراوح أعمارهن بين 10 و18عـــاما، والبنات فـــي الـــغـــــالب لا يتــعلمن ســـوى النـــسيج، لـــــــــــــكن الأخــت كـــــــانت تحــاول أن تعطـــي لهـــن بعـــض النصـــائح والنصوص في النظافة والتربية وبعض الأدعية بالغة العربية كان يقدمها الأسقف" نوات".

وكـــــــــانت الـــــبـــــنـــــات يـــبـــــقـــيـــن فـــــي هـــذا المـــــركز مـــــــن الـــــــســـــابـــــعـــــة صـــــــــباحـــــــــا إلـــــــى الـــــخـــامـــسة مساءا، ويستمر هـــــــذا النـــظـــام باقي أيـــام الأسبوع ماعـــــدا يوم "الأحد" والجمعة أيضا لأنه عيد المسلمين وبعد اكتمال صـــــــناعة الزرابي تـــعـــرض للبـــيع في قـــاعة مجاورة ، وغـــــــــــالـــــــبا مـــــــا كـــــان رمـــــــــــــز الصـــليب حـــاضـــرا في هـــــــــذه الزرابي ليوحـــــــــي بمـــــــضامـــين أخرى[1] .أمـــــا المعمل الأخـــير فـــهـــــــــو عبـــارة عـــــــن ملجأ، يجتمع فيه حـــــــوالي 45الى50بنت مـــــــن 3الى11سنة وقـــــت دخولهن للمعـــــــمل تتكفل الأختـــــــــان ســـــغـــــــولين (Sigoléne) والأخـــــــت كونـــــديـــــــــــــدا (Candida) بتعـــــــليم المتربـــــــصات تـــــدابير الخياطة والحياكة ، كما يتعلمن الفرنسية – القراءة – الكتابة.

(1) يوسف بن بكير الحاج سعيد، مرجع سابق ،25.

الجدول رقم(4):إحصاء 1اكتوبر 1928م في التكوين المهني للبنات لعدد من المناطق:[1].

المركز	مجال التكوين	عدد الأقسام	عدد التلميذات
غرداية	تعليم منزلي ونسيج	3	60
ورقلة	تعليم منزلي	3	57
المنيعة	تعليم منزلي ونسيج	1	38
تمنراست	خياطة جلود ونسيج	2	_

ففي مجالات التكوين المهني لدى البنات ، كان الغالب عليه التعليم المنزلي والنسيج، حيث بلغ عدد الأقسام في كل من غرداية وورقلة3مراكز،يرتادها قرابة60تلميذة[2]،أما ورشة المنيعة فكان بها 38منخرطة [3]،واختصت منطقة تمنراست بخياطة الجلود حيث كان بها قسمان للنساء[4].

فمعمل نسيج النساء في مدينة ورقلة كان يتكون من بعض الفقيرات جدا ممن لا يستطعن امتلاك منسج في بيوتهن ، وهو تحت إشراف الأخت "هكتور فكتوار تورنيي" فكان بهذا المعمل بعض الخياطات ومسرحات الصوف ، يقمن بغسل الصوف وصباغة الجلود .كان .هذا المركز يضم في سنة 1908م قرابة 23 فتاة .

([1])عمر داود ، زينب عيسى ، مرجع سابق،ص 83.

[2] Ghardaia ,école des Péres Blancs 1884-1976,Op cit , P4

[3] Un vieux pére dudesert،Op cit,P3

[4] عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ، ص 113.

وقد فتحت في المنيعة ورشة بها صناعة زرابي الصوف (غسله الندافة والفتل والصباغة بواسطة النباتات الطبيعية الموجودة في البلدة) وأوت هذه الورشة مؤسسة لليتامى خاصة بالفتيات من عدة أعراش ، وكانت بها داخلية، حتى أنها كانت تجلب اهتمام متربصات من مناطق أخرى من خارج البلدة ،خاصة من عين صالح وكانت تشرف على هذه الورشة أخوات قدمن من أسقفيات "فيفي" و"فالونس" من فرنسا[1].

أما متليلي فلم تظهر بها مدرسة للبنات خلال الفترة المدروسة بل ظهرت في 1952 وفي 1858م حولت مدرسة خاصة بالأخت جين إلى مدرسة لائكية ، حيث تم بناء المدرسة بأقسام كبيرة مع ثلاثة مساكن بالأخث جين إلى مدرسة لائكية ، حيت تم بناء المدرسة بأقسام كبيرة مع ثلاثة مساكن للمعلمين ،وهذا ما حسن حال الأخوات اللاتي وجدن مشكلة في تسديد أجورالمعلمين في المدرسة الأولى ،لكونهن يعشن على أجرة عيادة الأخت ميمي التي أنشئت في 1952م [2].

أما التعليم المهني الممهني الموجه للذكور فقد أنشأ الآباء البيض مديرية للتعليم المهني بغرداية عام

(1) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص130.

(2) Antony Plilipe,Op cit,P331

1896م ، تـــدرس فـــيها النجـــارة ، ثم أضيف فيها النقش على النحاس سنة 1909م، كـــمـــا تـــم إضـــافة مربـــعـــات الإســـمـــنـــت والطـــرز عـــلى الـــجلد ،وفي أكـــتوبر 1928م أسست مـــدرسة تجارية في غرداية .

أمـــا منطقة ورقـــلـــة فـــقـــد فتـــح الأبـــاء البيض بها ورشات للفلاحة والنجارة على وجه الخصوص إختصت مدينة المنيعة بالفلاحة .

أما دوفوكو فقد كان يعلم الطوارق فن البناء وتقنيات زراعة بعض الخضروات[1].

الجدول رقم (5):التعليم المهني للذكور : [2]

المركز	السنوات	الدروس المهنية	عدد الأقسام	عدد التلاميذ
ورقلة [3]	1875	الفلاحة والنجارة	4	362
غرداية	1896-1909	النجارة والنقش على النحاس	3	144
متليلي	1885	فلاحة	-	-
المنيعة	1922	فلاحة	2	87
تمنراست	1913	البناء وفلاحة	_	"كثير"

أمـــا دروس الفـــلاحة فقد اختـــصت بـــها مـــزاكـــز ورقـــلـــة و المنيعة ، وقـــد بـــلـــغ عـــدد الأقـــسـام فـــي سنـــة1875م

(1) عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ،112.

(2) يوسف بن بكير الحاج السعيد ، مرجع سابق ، ص238.

(3) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص130.

بورقلة 4اقسام بها 362تلميذا، أماقسم المنيعة فكان عدد المنخرطين في هذه الشعبة 11 شابا[1]. أما مركز غرداية فبلغ عدد طلابه في النجارة والنقش على النحاس 144 طالب في سنة 1909م وبلغ عدد ورشاتها 3، كما أوجد الآباء البيض مركزا للتكوين المهني في متليلي، كان مرتبطوه يتعلمون مبادئ الفلاحة[2]، أما في مدينة تمنراست ، فقد ذكرنا سابقا أن ورشات الآباء البيض هناك كانت تعلم التوارق تقنيات في البناء مع تقديم دروس في الفلاحة بالمنطقة [3].

وكان الهدف الأساسي من المدارس التقنية إعداد الفتيان في الواحات إعدادا مهنيا أوليا في إحدى الحرف يساعدهم على العثور على أعمال اكبر .

ولقد كانت مهنة صناعة الزرابي مهنة قديمة ،ومع مجيئ الأخوات أصبحت الصناعة أكثر منهجية إلى يومنا هذا، وفي مدارس التكوين المهني لا يبرز فرق عن المدارس العامة في نوعية التكوين والدروس المقدمة ،التي لم تخلو من الطابع التنصري والرموز الدينية الهادفة خاصة على المنسوجات .

---

(1) Un vieux pére dudesert،Op cit,P3

(2) Ghardaia ,école des Péres Blancs 1884-1976,Op cit , P 4

(3) عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ،113 .

ج) : المهام الطبية وتربية الأيتام:

ظهرت أهمية العلاج كوسيلة من وسائل التنصير في أواخر القرن التاسع عشر، ويعتبر التطبيب في العمل التنصيري أكثر شمولا من الوسائل الأخرى ، وأبلغ أثر لأنه موجه للصغار والكبار من للأهالي على حد سواء ،هذا من جهة ،ومن جهة أخرى قد يكون وقعه على نفوس الأفراد أكثر تأثيرا،لأن الأمر يتعلق بمعالجة أمراضهم والتخفيف عنهم وكانت ممارسات التطبيب في العمل التنصيري قد لا ترتبط بمكان معين أو طبيب خاص فالمدرسة يمكنها أن تمثل مستوصفا والمعلم فيها يكون ممرضا ، فالعلاج هو الوسيلة التي يحاول بواسطتها المنصرون أن يظهروا كل خصالهم الخلقية كاالطيبة والرأفة والشفقة ومحبة الناس وكلها صفات لا يمكن للأفراد أن يغضوا الطرف عنها دون أن يتأثروا بها ،وبالتالي التعلق بالمنصرين[1].

وبصفة عامة فقد أستخدم الآباء والأخوات البيض التطبيب في الصحراء كوسيلة للتنصير بطريقتين قد لا تختلفان عما قام

(1) محمد الطاهر وعلي ، مرجع سابق ،88 .

به المنصرون في منطقة القبائل وفي أنحاء أخرى من الجزائر، وتتمثل هاتان الطريقتان في :

- الأولى : استقدام المواطنين إلى المصحات والمستشفيات التي أقاموها لهذا الغرض، ومثال هذا النموذج ساد في مدينة غرداية،حينما أقام الآباء البيض مستشفى "القديس مادلين" ففي هذا المستشفى تعددت أساليب المنصرين في الوصول إلى غايتهم،وهي تنصير ما استطاعوا من أفراد المجتمع [*]،فكان المرضى الذين يرتادون هذه المستشفيات ، أو يقيمون فيها للعلاج فأنه يتم دعوتهم إلى اعتناق المسيحية بطريقتين – طريقة غير مباشرة،كإقامة المنصرات لصلواتهن في قاعات المرضى وتقديم هدايا لمن يبدي اهتماما ما بالديانة المسيحية.

- الثانية :طريقة مباشرة وصريحة ، كدعوة القادرين من المرضى إلى حضور القداس الذي كان يقام في كنيسة مستشفى "القديس"[1].

<u>علاج المرضى والجرحى من السكان في منازلهم</u> :

وقد عم هذا النموذج في منطقة الهقار مع الطبيب روبارأرسن"(Rebarercn) الذي جلبه شارل دوفوكو إلى منطقة الهقار،وأقام له مستوصفا صغيرا بالقرب من إقامته،

---

[*]يقول مبشر « يجب على طبيب الإرساليات التبشيرية أن لا ينسى ولو في لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شئ ، ثم هو طبيب بعد ذلك » ، أنظر، محمد الطاهر وعلي، نفسه ، ص86.

([1]) محمد الطاهر وعلي ، مرجع سابق ،90.

واستطاع هذا الطبيب أن يجلب السكان من المناطق المجاورة إليه دون أي إنزعاج أو تخوف ،فقد كان انتقال الآباء والأخوات إلى منازل الأهالي لعلاج المرضى وسيلة من وسائل التنصير،ذلك لأن دائرة احتكاك المنصرين بالأهالي ستتسع أكثر إذ لا يتعلق الأمر هنا بالمريض الذي سيعالج فقط ،بل سيتعداه إلى أهله ومنه إلى الجيران ،فلا شك أن هذا العمل سوف يجلب فضولهم بشكل كبير ،وتلك فرصة لا يمكن ل"روبار أرسن " أن يتركها تمر دون استغلالها،وبهذه الكيفية استطاع شارل دو فوكو وأتباعه التأثير على الكثير من التوارق ،بدلا من التأثير على المريض منهم فقط،كما كان دخول هؤلاء المنصرون إلى بيوت وخيام المرضى يفيدهم في الوقوف على أحوال معيشة السكان والبحث عن قرائن أخرى تساعدهم في التخطيط لبلوغ أهدافهم التنصيرية،فقد كان شارل دوفوكو يحاول أن يوهم التوارق بأن ما قام به الطبيب من تقديم للإسعاف والعلاج ،ناتج عن كونه "مسيحيا وأن العناية الإلهية هي التي أملت عليه القيام بهذه المهمة"،سواء تعلق الأمر بالأخوات أو الآباء[1].

ولعل أبرز المشاريع الطبية التي كان يعول عليها المنصرون في استقطاب أكبر عدد من المتنصرين كانت في منطقة بني ميزاب ،فقد أنشأوا في سنة1895م مستشفا مدنيا يستقبل – بالاتفاق مع الولاية العامة– الأهالي والعسكريين والمدنيين الأوربيين[2]،وهو مستشفى القديس مادلين(*)،فقد أقبل الســكان على خدماته منذ الوهلة الأولى خاصة مع عرض القائمين عليه تلقيح الأطفال أما الكبار فقد تعاقبوا على المستشفى بتحفظ شديد[3].

([1]) عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ، ص109.

([2]) يوسف بن بكير الحاج السعيد، مرجع سابق ، ص196.

(*) الملحق رقم (09).

([3]) يوسف بن بكير الحاج السعيد ، المرجع السابق 195.

وبطلب من الآباء البيض أغلق المستشفى في 17 جوان 1910م.وقامت أربع أخوات بفتح عيادة خاصة تحت إدارة ماري كلافر(Marie Claver) التي وصلت إلى غرداية سنة 1933م ومن أجل التواصل مع النســـاء أخذت في تعلم اللغة العربية (العامية)وكانت بين الحين والآخر تقوم بزيارة المرضى في بيوتهم ،التحقت بهذه العيادة قابلة ،وهي الأخت ماري ألما (Marie Alma) استمرت في هذه العيادة لمدة 23سنة ،وصفت في بداية قدومها المجتمع المزابي بالمنغلق...والمرأة المزابية بالمتخفية،ولا يمكن للأخوات اختراقه،ولكن فيما بعد كسبت ود السكان إلى درجة أنهم طالبوا في عدة مرات وبإلحاح ببقائها بل وتعداه الأمر إلى تكريمها بشهادات اعتراف .وذلك للدور الطبي الكبير الذي لعبته في المنطقة[1].

وقد أنش أالآباء البيض عيادة للجراحة اشـــرف عليها الدكتور لوكوتور(Locoutour)في منطقة"التنية"في اكتوبر1942م ،تكفلت أختان بالعمل فيها وهما مازيال(Martha)وجنيفات لويس(Geneviéve Louis)،شاركت الأخوات في جولة صحية للقضاء على مرض الملاريا الذي تفشى بالمنطقة شهر نوفمبر من سنة 1953م.

أما في مدينة متليلي فقد تم بناء مستشفى في 1952 بعد قدوم الأخوات جين بوروطرا(Jeanne Borotra) ودونيس كرامبس (Denis Crambes) وميمي فاكوستر(Mimi Vercoustre) ومنذ اليوم الأول لإفتتاحه امتلأت القاعتين وكان بهما 10أسرّة للرجال يشرف عليها طبيب عسكري شاب،و10قاعات للنساء ونتيجة لندرة

(1) عمر داود – زينب عيسى ،مرجع سابق، ص 56.

الأدوية في ذلك العهد فإن السكان لايزالون يشهدون بالفضل للأخوات على المجهودات التي قدمت بهذا المستشفى الصغير[1].

أما في مجال تربية الأيتام:

فمنذ بداية أول مشروع تنصيري في الجزائر إثر مجاعة 1867،والتي جمع لافيجري خلالها ما يقرب من 1752طفلا جزائريا في ابن عكنون والحراش والذين فقد منهم الكثير ،وأعاد إلى ذويهم عددا أخر إلا انه أبقي على ما يربو عن 600طفل رغم المضايقات التي واجهها إلا انه رباهم تربية مسيحية ونصرهم.وأكمل مشروعه هذا بالتوجه نحو الصحراء قصد إنشاء دور للأيتام،ففي مدينة ورقلة إستغل الآباء البيض الحالة المزرية التي كانت تعاني منها المنطقة عند إنشائهم مركزا للتنصير هذا المركز الذي لم تخلو قاعاته من الأطفال الأيتام حيث بلغ عددهم سنة 1889ح 12 طفلا مستغلين من طرف البعثات التنصيرية ،وكان لمجاعة 1919بالصحراء دور كبير في عزم الآباء البيض أنشاء دار للأيتام بقلب الصحراء، فوقع الاختيار على مدينة المنيعة لإنشاء دار الأيتام الريفية بها في سنة1921م .

إنطلقت دار الأيتام بالمنيعة في 1921م 24 يتيم ،وارتفع العدد في 1933م إلى 55 يتيما،ثم تناقص تدريجيا رغم الإقبال المتتابع ، أما العائلات فتحولت من 10 سنة 1932 مع 10أطفال إلى 18في 1936م مع 31 طفلا.

وقد اعتبر هؤلاء اليتامى مواطنين فرنسيين ، وتكفل الآباء والأخوات البيض بتدريسهم وتلقينهم لكي يصبحوا مسيحيين.

([1])Mihel Gaqnon :Aperçu sur l'histoir de la Mission au Sahara,Fascicule 3,au sujet des Sœurs Blanches en 1945-1955,Laghouat(Algérie) ,2000,P52.

الجدول رقم (5): عدد اليتامى و المنصرين والعائلات المسيحية المكونة بالمنيعة [1]

السنوات	الأطفال	البنات	المجموع	العائلات
1921	–	–	24	–
1923	39	9	48	–
1932	35	23	58	10
1933	33	22	55	12
1934	28	20	48	12
1935	26	20	46	16
1936	27	18	45	18

لقد انتحل المنصرون في الجزائر أدوار شخصيات عديدة ، فمنهم الطبيب والمعلم والكاتب وساعي البريد والعسكري والمهندس، وكلهم سعوا و حلموا بأن تكون الصحراء الجزائرية مسيحية يوما ما ،فلم يكتفوا في دعوتهم للنصرانية بتقديم خدماتهم المشبوهة للسكان ، بل استعانوا في ذلك بكل ما يحقق أهدافهم ،مهما كان هذا العمل حتى ولو كانت الصلاة أو الدعوات من أجل نشر المسيحية في تلك الأراضي الشاسعة[2].

3)- النتائج وردود الفعل المترتبة عن النشاط التنصيري بالجنوب الشرقي

أ)- ردود فعل سكان الجنوب الشرقي على البعثات التنصيرية :

شهدت مناطق للجنوب منذ 1854 م حالة من الثورة والاضطراب كثورة شريف ورقلة (إبراهيم بن فارس)

(1) Ghardaia ,école des Péres Blancs 1884-1976,Op cit ,P4 .

(2) مزيان سعيدي، مرجع سابق ، ص14.

الرافضة لدخول المستعمر، هذه الثورات والإضرابات انتهت جميعا بالفشل واحتلال أجزاء كثيرة من الجنوب الجزائري والتوغل الاستعماري نحو غرب إفريقيا والسودان(مالي)، تحت غطاء الاكتشافات والبعثات العلمية ،وظهر معها انتصاب رجال الكنيسة الكاثوليكية رجالها ونسائها في مناطق عديد من الجنوب مثل بسكرة وغرداية وتمنراست وورقلة والمنيعة وبني عباس وغيرها فنتج عنها ردود فعل متباينة[1].

وكذلك كان تأمين الصحراء لفتح الطريق أمام"المنصرين"من الأهداف الأساسية التي تعاونت الكنيسة والسلطة الاستعمارية على تحقيقها ، لذلك كان من المستكشفين في سبعينيات القرن 19م الآباء البيض .

فمنذ سنة 1873م تحددت الكنيسة جميع العراقيل وبعثت بثلاث منصرين[2]، وهم الآباء بولمبيه (Paulmier) وبوشار (Bouchard) ومينوري (Menoret)، الذين عينوا يوم 1 أكتوبر 1872م في الأغواط التي كانت المرحلة الأولى للطريق إلى

(1) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 129 .

(2) إسماعيل العربي، مرجع سابق ، ص 110.

الهقار ثم السودان ، واستطاع الآباء الثلاثة أن يصلوا في 6 أكتوبر إلى واحات متليلي ، حيث يقطن الآباء المرفقين بدليل أو جنود عسكريين، انطلقوا منها عبر الصحراء ليجاوزوا مسار المنيعة ثم عين صالح ، وكان الهدف الأساسي العثور على أفضل طريق يؤدي إلى السودان ، لبحث واستكشاف الأرض ووضع حوصلة لرحلتهم ، ولكنهم ذبحوا بعد عشرين يوما من موعد الإنطلاق في (حاسي إنيقل) جنوب مدينة المنيعة على يد مرشديهم من التوارق والشعانبة. فنعاهم الكاردينال لافيجري بالعبارة التالية : " لقد ذاقوا ألم الموت في سبيل الله" ، ولكن الرجل لم ينحني ولم يتراجع أمام هذا الفشل ، بعدها أمر رئيس البعثة الدينية الأب"ريشار" (Richard) في مدينة ورقلة بأن ينتقل إلى غدامس ليستقر هناك ريثما تهدأ الأمور[1].

بعدما أصبحت غدامس مقرا للبعثة "التبشيرية" التي يرأسها الأب ريشار، قام الأب مع زميله كيرمابون(Kermabon) بجولة استكشافية ضمن بعثات الآباء البيض سنة 1879م للتعرف على أسرار بلاد الهقار بمساعدة خبراء في الصحراء من توارق إفوغاس فانطلقت البعثة من غدامس إلى وادي تيكاملت شمال غرب مدينة غات، ودامت تلك

(1) Suzanne Normand et Jean Acker :Sahara,Horizons DEfrance,Paris,1957,PP83- 84.

الرحلة ستة وخمسين يوما جمعت خلالها البعثة معلومات جغرافية هامة ، وربطت علاقات ودية مع بعض فصائل الهقار ، وخاصة الإفوغاس ريثما تتأسس مراكز التنصير عندهم ،وقد اعتبر الأب ذلك فتحا مبينا[1].

ولكن مذبحة الكولونيل فلاترس (fLatters)، التي وقعت في 1881م بمدينة غدامس [2]، بعد عودة ريشار من التوارق سوف تضع حدا مؤقتا لنشاط البعثات التبشيرية في الجنوب الجزائري ، وإزاء هذه الحالة كان من رأي الكاردينال لافيجري ترك الوقت حتى تستقر الأوضاع وتهدأ النفوس في جنوب الصحراء ، ولكن حماس الآباء البيض تغلب على تعقل رئيسهم حيث راح الأب ريشار يتضرع إلى الكاردينال ويرجوه أن يسمح له بالذهاب إلى بلاد التوارق الذين يضع فيهم الثقة ،ولهذا أذن له لافيجري بالسير إليهم رفقة اثنين من القساوسة فانطلق في شهر ديسمبر 1881م متوجها إلى تمنراست [3].بعد ثلاثة أيام من السير وقع الآباء الثلاثة في كمين ، نصبه لهم التوارق الذين استقبلوهم قبل سنة فقتل الثلاثة

([1]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص422.

([2]) إسماعيل العربي ، مرجع سابق ، ص100.

([3]) إسماعيل العربي ، نفسه ،ص ص 111- 121.

وأشعلت النار في ثيابهم التارقية التي كانوا يرتدونها لإيهام التوارق أنهم لا يختلفون عنهم .

ووجدت جثتهم على ربوة صغيرة تدعى "تين كوفار" على الطريق المؤدية من الهقار إلى مدينة غدامس [1].

وإلى سنة 1875م كان هناك أبوان فقط بلغو المنيعة وأصبحوا مالكان لمنزل وحديقة تضم 20 نخلة اشترياها بسعر 3250فرنك ، هذا الاختراق كان وسط كتمان وحذر وكبت من طرف السلطات التي كانت تخشى فقدان الأمن بالمنطقة.

وهكذا سقط في الصحراء في ظرف خمسة سنوات ستة من القساوسة . إن غزو الأرواح أصعب بكثير من غزو الأراضي ، وهذه الحقيقة أدركها رجال الكنيسة جيدا وسوف لن يجددوا مساعيهم إلا بعد ذالك بعشرين سنة[2]، أي في بداية القرن العشرين عندما يحل شارل دو فوكو (De Foucauld) بالمنطقة سنة 1902م ويبعث نشاط البعثات التنصيرية بعد ما أقنعه صديقه لا بيرين (Lapperine) بالقدوم إلى المنطقة والاستقرار في بلاد التوارق [3].هذا القدوم سيكون له صدى كبير في المنطقة من

([1]) Antony Plilipe,Op cit, P83

([2]) إسماعيل العربي ، مرجع سابق ، ص 112.

([3]) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 132.

جهة، وفتي حياة شارل دو فوكو من جهة ثانية ،فبعد توغله ، استقراره بالمنطقة سيلقى نفس مصير من سبقوه ، وكانت السنوسية في هذه الفترة ذات نفوذ كبير على الحدود الليبية – الجزائرية بمناصرة بعض القبائل التارقية مثل" أزجير"، فكان هجوم السنوسية عام 1916م قويا ضد القوات الفرنسية المتمركزة هناك ،وإنتهت الهجمات بقتل دوفوكو في 1ديسمبر 1916م على يد أحد أتباعها المدعو "أق طره"[1].

لقد كان مصير الكثير من المغامرين والمستكشفين الأوربيين لمنطقة الصحراء القتل ،حيث لقي الكثير منهم حتفهم ، وهذا ما حدث للآباء البيض الذين حصل لهم نفس المصير ، حيث أن سكان الصحراء كانوا يرون بأن حلولهم بالصحراء ما هو إلا تمهيد لدخول القوات الفرنسية فيما بعد ورغم كل ما حل بهم من مآسي فقد واصل الآباء البيض توافدهم على الصحراء تجسيدا لأفكار الكنيسة وشيدوا العديد من المراكز في الصحراء [2].

إختلف تعامل الأهالي مع المنصرين ففي بداية الأمر كانت المقاطعة شاملة لهم باعتبارهم كفارا وقطع أي صلة بالفرنسيين ، لتتحول بعدها إلى التعامل التدريجي ليتطور الحال إلى إقامة

(1) احميد عميراوي وآخرون ، مرجع سابق ، ص126 .

(2) أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 129.

عـــــلاقات معهم تبعا لأعمـــــالهم "الإنسانية" التي وإن رفضت من طـــــرف الـــــكثير وتحـــــفـــــظ عـــــليـــــها ، إلا إنـــــها وجـــــدت الـــــتقـــــدير والـــــمـــطالبة بها من قبل البعض الآخر.فـــــفـــــي الـــــبـــــدايـــــة كـــــان عنـــــدما يمس أب مسيحي خضرة أو فـــاكهة في السوق بـــــدون أن يشتريها لا يمكن لها أن تباع ، وحـــــتى عنـــــد تجوالهم في الأسواق كـــــان يـــقع التهرب منهم. فـــــواجه الآبـــاء فـــــي البداية صعوبات في التقرب من المجتمع الـــــصحراوي المنغلق على نفسه والرافض لكل ما هو غير إسلامي .بـــــل ووصل الأمـــــر أحـــيـــانـــــا بـــــإعـــلان التبرء من كل من يتصـــل بالفـــــرنسيـــــين أطلـــــقوا أســـم "مـــــطورنين"، على المتنصرين من السكان .وذلك لعداوتهم للمسيحيين[1] .

أما من ناحية التعليم فقد واجه سكان المدن والواحات الصحراوية التعلـــــيم الفرنسي عامـــــة واللغة الفرنسية أول الأمر لأنها حسبهم تؤدي إلى الكفر والخروج عن الإسلام مما حـــذا بالآباء البيض إلى تعلم اللغة العربية بل وحـــــتى اللهجات المحلية كالميزابية والتارقية لكسب ود السكان واستمالتهم لمخططاتهم ،وأول ما بدئوا أنشئوا المدارس لاستقبال الأطفال ،وهو ما جعل السلطة الاستعمارية تستعين بالإجبار تارة والتهديد والدعاية والإغراء تـــــــــــارة أخرى لحمل الأهالي على أن يبعثوا بأبنائهم لهذه المدارس.وبالرغم من إعراض العامة من السكان عن اللغة الفرنسية إلا أنهم واجهوا أكبر عائق لهم في التشغيل في المكاتب الرسمية والمصالح الفرنسية العمومية الأخرى عندما مست الحاجة ،لمسايرة المستعمر في ضروريات الحياة

(1) أبو القاسم سعد الله ، نفسه ، ص 129.

الاجتماعية كالطب وسوق العمل والمواصلات والحواجز الأمنية وغيرها ،لذلك أقبل الناس ارتياد المدارس الفرنسية [1].

ب) – دور الزوايا والمساجد في مواجهة المد التنصيري بالجنوب الشرقي :

إن مجموع المؤسسات الدينية و الثقافية قاومت وصمدت وواصلت رسالتها الحضارية بجد وعناد ، بل وبعناد في كثير من الأحيان بفضل تأييد الشعب الجزائري لها وإنفاقه بسخاء على نشاطات رجالها وطلبتها وتلاميذها ،فكثر بناء المساجد والمدارس والكتاتيب برغم العراقيل التي كانت تفرضها السلطات الاستعمارية ، وكثر ظهور

(1) عمر داود ، زينب عيسى ، مرجع سابق، ص 140.

الزوايا الجديدة حتى بالغ الشعب في إكرام شيوخها ودعم مشاريعها الدينية والثقافية ،كأسلوب من أساليب مقاومة الحركة التنصيرية وإبراز مقومات الحصانة الدينية للمجتمع الجزائري [1]. برغم الاختراقات الفرنسية في صفوف الزوايا ومحاولات صرفها عن مسارها لكن تلك الاختراقات لاتعدوا أن تمثل إلا اصحابها من المتواطئين مع الاحتلال .

فالزوايا كانت في بداية أمرها توفر الخدمات فتستقبل الضيوف من عابري السبيل والمحتاجين وتوفر لهم الأمن والراحة والغذاء والشراب كما توفر للطلبة والشيوخ القادمين من جهات مختلفة حسن الإقامة، كما لعبت الزوايا دورا بارزا في إنهاء العلاقات والخصومات بين مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية وذلك حتى لا يجد المنصرون سبيلا إلى تلك الأعمال وتتفرغ الزوايا والمساجد لمقاومة السيطرة الاستعمارية والحركة التنصيرية [2].

في هذا الجانب كان رد فعل الزوايا تجاه النشاط التنصيري بالجنوب الشرقي والجزائر عموما يمتاز بميزتين،الأولى هي الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية بكل مقوماتها من دين ولغة وتاريخ وعادات وتقاليد، وأما الثانية فتتمثل في إعلان حركة الجهاد

([1]) يحي بوعزيز، مرجع سابق ، ص25 .

([2]) مزيان سعيدي، مرجع سابق ، ص399.

والمقاومة الشعبية ضد الاستعمار والغزو الروحي الديني فكما تزعمت الطريقة الرحمانية المقاومة في الشمال ضد المستعمر فانه كان للطريقة السنوسية (*)،والتي أتخذت من مدينة "برقة"(**) مركز لها."دور كبير في مقاومة الاحتلال والغزو الروحي "بمناطق الجنوبية للبلاد [1].

لاحظت السلطات العسكرية عن طريق جواسيسها في المنطقة ، ومنهم عبد النبي بن علي أن الزاوية السنوسية في جانت ليست مكان للعبادة فقط ،بل هي مركز للتعبئة وتحريض المواطنين على الجهاد ضد الفرنسيين ،وبحسب التحريات التي أجرتها المصالح الفرنسية فإن المدعو (أخاموخ بن سعد) والذي عينه أمود كبير عقال التوارق كإمام ومقدم الزاوية السنوسية لم يستجب لطلب الفرنسيين ،ولم يخضع لنفوذهم ، وكانت جهود

(*) نسبة إلى محمد بن علي السنوسي الإدريسي المجاهري ،مؤسس الطريقة من مواليد 12ربيع الأول 1202ه/22 ديسمبر 1787م بمدينة مستغانم من أسرة جزائرية من قبيلة الخطاطبة المنسوبة إلى سيدي عبد الله بن الخطاب الشلفي ،يرتفع نسبه إلى الملوك الأدارسة الحسينيين مؤسسي الدولة الإدريسية بالمغرب ، توفي في 9 صفر 1277ه/7 سبتمبر 1859م بمنطقة جغبوب الليبية، خلفه على رئاسة الطريقة ابنه محمد المهدي الذي وسع نشاط زاويته حتى بلغ 300زاوية في كامل الصحراء الشرقية والوسطي، ويعود تأسيس الزاوية السنوسية إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي ،بجبل أبوقبيس قرب مكة المكرمة . أنظر :إبراهيم مياسي ، مرجع سابق، ص566.

(**) مدينة ليبية تقع إلى الجنوب الغربي من الأراضي الليبية انتقل إليها مركز الزاوية السنوسية من مستغانم الجزائرية لعب مشائخها دور كبيرا في مقاومة الاحتلال الفرنسي للصحراء. أنظر:إبراهيم مياسي ، مرجع سابق، ص452.

([1]) مزيان سعيدي ، مرجع سابق ، ص401.

السنوسيين في مطلع القرن العشرين قد توحدت في كل من ليبيا والجزائر بعد رفع راية الجهاد، بقيادة الشريف محمد بن عبد الله سلطان ورقلة وأعوانه كالحاج المهدي باجودة زعيم التوارق، ومن جملة المعارك التي خاضتها الحركة السنوسية معركة "إيسن"الشهيرة(***).

فقد كانت الطريقة السنوسية بالمرصاد لنشاط الكاردينال لافيجري وإرسالياته التنصيرية في ربوع الصحراء الكبرى ، فقد قال لافيجري في أخر أيامه (إن أكثر المتنصرين نبذوا النصرانية والتحقوا بزوايا السنوسية حيث كانت تشتري العبيد المنصرين من قبل الآباء البيض وتوزعهم على الزوايا) [1].

فبعد تفقيههم تشترط عليهم الزاوية السنوسية الرجوع إلى بلادهم لنشر الدعوة الإسلامية ،أما من لم يبلغ هذه المرحلة من العلم يشترط عليهم إحياء الأرض من الموت وغرسها بالنخيل بهذه المبادئ نبذ السكان المسيحية ومنظماتها في الصحراء ، فلم يسع لافيجري أنذاك إلا أن يعطي أوامره لأعوانه بأن يخلو عدة مراكز وينسحبوا منها وبخاصة بعد إعلان

(***) وقعت في شهر أفريل 1913م،بين السنوسيين من جهة والملازم قاردال"GARDEL"من جانب الفرنسيين.

([1]) مزيان سعيدي، مرجع سابق ، نفس الصفحة .

السنوسية الجهاد[1]، فقد برز دور الطريقة السنوسية في انتشار علوم الإسلام في الصحراء ومقاومة الغزو الروحي الديني الذي تزعمه لافيجري وشارل دو فوكو من بعده بالمنطقة ويرجع ذلك إلى كون السنوسية خالية من الغموض ولذلك نرى أن السنوسيين في جميع أطوار تاريخهم حريصين على القيام بالصالح العام الإسلامي وعلى وجه الخصوص في مجاهل الصحراء ، ففي هذه الزوايا التابعة للطريقة السنوسية في كل من ورقلة وغدامس ومنطقة الهقار والتي كانت عبارة عن مراكز ثقافية وثكنات حربية ورابطات جامعية ومدارس سلفية [2].

و بعد بروز دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تفطنت إلى الإصلاح الديني والأخلاقي، بل وحثت على الأتساع في الفلاحة في منطقة الواحات الخصبة ، وقام بجهد دعائي من خلال صفحات جرائد الجمعية ودروس علمائها في المساجد .

دخل أتباع الطريقة السنوسية في حرب مفتوحة مع شارل دو فوكو في منطقة الهقار بعدها ألّح على صديقه "لابرين"

([1]) المهدي البوعبدلي ، مرجع سابق ، ص351.

([2]) مزيان سعيدي ، المرجع السابق ، ص 245.

بتشديد المراقبة على الحركات السياسية والدينية في المنطقة وخاصة نشاط السنوسيين ، وقد وصلت المقاومة إلى العنف ضد نشاط القساوسة والتخلص من بعضهم جسديا ويذكر أبو القاسم سعد الله أن قاتل شارل دو فوكو كان من أتباع الطريقة السنوسية بعد أن هجم عليه مجموعة من 20فردا في البرج الذي كان يقيم فيه وأطق عليه المدعو المدني رصاصة في الرأس فأرداه قتيل سنة 1916 بعد إن أكتشف الناس حقيقته هذا الجاسوس[1].

أما المساجد فكانت مؤسسة دينية تعليمية وثقافية هامة يحسب لها الحفاظ على الشخصية الجزائرية من التفسخ والذوبان، فقد عمت أرجاء البلاد ، ولا تكاد تخلوا منها قرية من قراها فالمسجد مركزا للعبادة له دوره الطلائعي في غرس المبادئ الأساسية في نفوس الأطفال وكان المسجد ملتقى للعباد ومجمع الأعيان، وهو قلب الواحات والقرى الصحراوية ، يتلقى أطفالها فيه المبادئ الأولية في القراءة والكتابة ويحفظون القرآن به على يد المشايخ ، وكانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه ، بل أن بعض الزوايا كانت عبارة عن مدارس ، كما كانت بها مساكن للطلبة الذين يدرسون في الزوايا أو المساجد وفي بعض الأحيان كان المسجد ملحقا بالزاوية كمقر الزاوية التيجانية في تقرت لأن الطابع الغالب في

(1) أبو القاسم سعد الله ،مرجع سابق ، ص 135.

الصحراء كـــــــــان يقوم على تـــــأسيس زاوية وجامع ومدرسة في نفس الـــوقت ، لـــذلـــك فـــإنه من الصعب تمييز الـــــــوظائف والأدوار التي تـــــؤديـــهـــا هـــــذه المؤسســـــات مجـــتـــــــمعة في مجتمع يقوم فيه التعليم قبل كل شئ على الدين وتلعب فيه المـــــساجد والزوايا الدور الرئيـــــسي في تلك الفترات وهي مـــيـــزة امتازت بها الصحراء الجزائرية [1].

أما في منطقة بـــني مزاب،فقـــد كـــان للهيئات الـــعرفية المتمثلة في هيئة العزابة [*]دور كبـــير في مقاطعة مـــــختلف مـــظاهر الـــتنصيـــر، كما كان اهتمام الأولياء بالـــتجارة إلى تحويل الكثـــــــــــير من أبناء الـــــمـــــنـــــطـــــقـــــــــة عن مخـــــطـــــطـــــات الآباء البيض التي وضعت الأطفال هدف لمـــــــــخططـــــاتـــــهـــــــا الـــــجـــــهـــــنمية عند توجههـــم للمدارس الفرنـــسية ، فاكتفى الأولياء بتلقين أبنائهم المبادئ الأولية التي تسمح لهم بتعلم اللغة الفرنسية من أجل التواصل [2].

([1]) مزيان سعيدي ، مرجع سابق ، ص390.

([*]) العزابة حلقات تربوية ينظمها المجتمع الميزابي هده الحلقة تحولت مع مرور الوقت إلى سلطة مدنية يحظرها مشايخ الإباضية فهي جلسة علم وعمل تلتزم بالأخلاق القرآنية وهناك شروط الانضمام إلى مجالس العزابة منها البلوغ والزواج وكدا الحفظ للكتاب الله ،فمجلس العزابة هو الموجه الروحي للمسلمين من خلال النشاط ألمسجدي .أنظر، عمر داود زينب عيسى ، مرجع سابق، ص 147.

([2])عبد القادر قوبع ، مرجع سابق ، ص 90.

ج)- موقف المصلحين والنخبة المثقفة من النشاط التنصيري في الجنوب الشرقي

بعد أن بلغ النشاط التنصيري في الجنوب الشرقي مبلغه من القوة والإنتشار وأصبح خطرا متناميا يهدد الهوية الثقافية والدينية لسكان المنطقة صار ضروريا إتباع وسائل وطرق مختلفة لتصدي للمنصرين وكشف مخططاتهم .

نتيجة لتنامي الخطر المتداعي من المنصرين ظهرت نخبة مثقفة واجهة هذا المد التنصيري هدفها إصلاح المجتمع من أخطار التنصير هذه النخبة التي تنوعت وسائلها لمجابهة التنصير من الصحافة المكتوبة إلى إنشاء الجمعيات وغيرها..، وتزامن ظهور هذه النخبة المثقفة في ظل الحركة الإصلاحية التي شهدتها الجزائر خاصة بعد ظهور جمعية العلماء المسلمين 1930م [1].

نذكر من هؤلاء المصلحين بالصحراء كل من:الزاهري والعمودي وأبى اليقظان وغيرهم ، هذه النخبة المثقفة وغيرها أخذت على عاتقها محاربة التنصير وإصلاح المجتمع ، فكان أول اصطدام لها بالمنصرين في الجنوب الشرقي سنة 1931م ، ردا على زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى منطقة الزيبان حيث تحرك رئيس المركز الثقافي للمنصرين المسيحين بورقلة وقام بزيارة نحو أحد مشايخ المنطقة وهو الشيخ محمد خير

(1) عبد القادر قوبع ، مرجع سابق، 95.

الدين عله يستطلع منه معـــــــــلومات عن أهداف الإصلاح والإستراتيجية التي تتبناها جمعية العلماء بالمنطقة [1].

وقـــــــد ذكـــــرنا سابقـــــا أن المنصـــــريـــــن قـــــد انتشروا في مناطق الصحـــــــــــراء بوسائل مختلفة ،ومنها منطقة وادي مـــيـــــــزاب أحـــــاطـــــوا بـــها من كل جانب ونظرا لمحافظة المجتمع الميـــــــزابي وتشدد مذهبه الإباضي .

أخـــــــذت محاربة التنصير أهـــــمية كبيـــرة عند النخبة المثقفة وبرز من المنطقة الصحـــــفي أبو اليقظان[*] من خلال جرائده التي كان يصـــــــدرها .فـــقـــــــد تـــطـــــرق مـــن خلال كتاباته إلى قضية التنصير مـــن مختلف أسسها وأبعادهـــــــا ونتائجها ، فـــــأعتبر أن المنصرين أداة لإفســـــاد الدين والأخلاق ،وأنهم متواطئون مع الإحـــــــــــــتلال ، ومـــــتستـــــريـــــن تحـــــت غطـــــاء الـــمساعدات الخيرية والتعليمية ، وأنـــــــه اذا كـــــانت الحكـــــومة الـــفـــــرنسيـــــة لا تستـــــــــطيـــــع أن تـــــخـــفـــــي

([1]) عبد القادر قوبع ، نفسه ،96.

([*]) هـــــــو الشيخ إبراهيم بن عيسى حمـــــــدي أبـــــــو اليقظان ، ولد بمـــــــدينة القـــــــــــــــرارة (غرداية) يوم 29 صفر 1306هـ الموافق 5نوفمبر 1888م، دخل الكتاب القرآني وحفظ القرآن ثمّ أخذ في تعلم الفنـــــــــــــون مـــــن عربية وشرعية ، ثم سافر إلى مدينة بني يزقـــــــــــــن ليكمل دراسته على قـــــــــــطب الأئمة الشيخ طفـــــيش الحاج مـــحـــمد بن يوسف، في سنة 1912م سافر إلى تونس وواصـــــــل دراسته فـــــي جامـــــــــع الزيتونـــــــة ثم الخلدونيـــــة ، يعد ثاني المصلحين في واد ميـــــــزاب بعد الشيخ بيوض ، وفي ســـــنة 1926 أصـــــــــــدر أولى جرائده " وادي ميزاب " تحرر وتوزّع في الجزائر وتطبع في تـــــــــونس، أصدر ثمانـــــي جـــــــــرائد مـــــا بين 1926و1938م وهي : ، وادي ميزاب ، ميزاب ، المغرب، النور، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان،فـــــــــي سنة 1931م انضم إلى جمعية العلمـــــــــاء المسلمين الجزائريين ، توفي سنة 1973م . أنظر يوسف بن بكير الحاج سعيد، مرجع سابق ص ص 192،189 .

تـــــواطئـــــها مع هؤلاء المنصرين ، فإنه لا يسع المسلمين المصلحين والحال هده سوى الدفاع عن دينهم.

وفي هذا الإطار كتب الصحفي أبو اليقظان في افتتاحية جريدة من جرائده مقالا تحت عنوان ،"نزول عيسى عليه السلام في المنيعة" ،وذالك أثناء تدشين فرنسا لمقبرة المتنصرين في الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1930م في احتفال كبير بالمنيعة، حضره آنذاك رئيس بلدية الجزائر "رونيس" وجمع كبير من الجنرالات وأساقفة من الفاتيكان ورجال الدين من فرنسا وكثير من منصرو المناطق الصحراوية،وقد ندد فيه بالتنصير ،ونشاطاته في الجزائر ،ومحاربة الاستعمار للدين الإسلامي لمحو القومية الجزائرية من ذهن الوجود ،فكان ذلك المقال سببا لمصادرة تلك الجريدة وتعطيلها في نفس الأسبوع[1].

وفي هـــــــذا الشأن كتب أبو اليقـــــظان مقـــالات كثيرة لـــفضح المنصرين فـــي كل مناسبة تتاح له ، أو حتى بغير مناسبة ، وكـــــــانت كتاباته تدعـــــو المسلمـــين إلـــــى الـــيقظة مـــما يريـــده المنصـــــرون مـــن وراء احتـــــكـــــاكهم بالمســلمين ، وقـــــــــد حمّـــــــل الإدارة الفـــــرنسية المســـــــؤوليـــة في غـــــردایة عندما استطاع الـــمنصرون فتح خمس مـــــــدارس بها ، فـــــــي حين لم يفتتح المسلمون ولـــــو مـــــــدرسة واحدة لتعليم أبنائهم ، وأن ذلك كلـــــه يدخل في عـــدم جدية السلطات الفرنسية في مراقبة أعـــــمال الـــمبشرين والتي هـــي ضد ديانة الأهالي ، وأخـــــــــلاقهـم[2].

([1]) عمر داود ، زينب عيسى ، مرجع سابق، ص .83.

([2]) عبد القادر قوبع ، مرجع سابق ، ص125.

وقد هاجم الشيخ أبو اليقظان في صحفه بعض أساليب المنصرين في التدريس عدم الجدية في المسعى التعليمي ، كما هاجم الأولياء الذين يسجلون أبنائهم في مدارس الآباء البيض ووصف البرامج التي تقدم للتلاميذ بساذجة ، وأنها تهدف إلى استدراج الأطفال إلى مستنقع المسيحية ، وقد استدل أبو اليقظان على استدراجهم واستغفالهم للتلاميذ بسؤال وجهه إلى أحد التلاميذ ،عن ما يلقى عليهم من الدروس فقال :"أول ما ندخل يقال لنا إذا قيل لكم كيف أصبحتم ؟ فقولوا أصبحنا بخير ،ونحن بعد عنائنا بالأمس أصبحنا في نعمة الله،وأن عيسى كما قال تعالى في القرآن نبي الله فأنا بفضل الله أصبحت مسيحيا" [1].

كما فضح أبو اليقظان أحد المنصرين في منطقة وادي ميزاب عندما كان يراسل مجلة فرنسية – تنشر في العالم الإسلامي– تابعة للمنصرين يوصي فيها بتسريع تنصير البربر لسهولة ارتدادهم عن دينهم على حد قوله.

ففي جريدة "وادي ميزاب" التي كان يصدرها فضح أبو اليقظان عديد الشخصيات والشيوخ والأئمة المتواطئين مع المنصرين عن قصد أو بغير قصد اتهم الكثير بمساعدة في توزيع الإنجيل المعرب بالمنطقة. وأعاب أبو اليقظان على الأهالي أنهم لم يتفطنوا بأن المنصرين لا يهنأ لهم بال ما لم يجنسوا أولئك بجنسيتهم الدينية المسيحية بل أن الكثير من

(1) عمر داود ، زينب عيسى ، مرجع سابق ، ص .83.

الأهالي الدين كانوا يرتادون مراكز المنصرين تجدهم يحفظون لهم جملا من إنجيلهم ويدربونهم على الطقوس النصرانية. [1]

كما برز السعيد الزاهري[*] كواحد من أهم المصلحين بالجنوب الجزائري والمحاربين للتنصير والفاضحين في كثير من الصحف والمناسبات ، فإتهم الإدارة بدعم التنصير بغلقها المدارس العربية ورمي الأطفال المسلمين نحوا المنصرين المدعمين من طرفها وقد أشار الزاهري في كثير من كتاباته الصحفية إلا ان هؤلاء المنصرون في واقع الأمر لا ينشئون مدارس ولا مستشفيات كما نفهمه من هذه المسميات بل هم ينشئون بين أوساطنا الإسلامية العربية مراكز للتنصير والتضليل والأخطر من هذا عند الزاهري ،أن ترى السلطة تشترك في المآدب والحفلات التي يقيمها هؤلاء المظللون كلما فتحوا في هذا البلد الإسلامي مراكز للتنصير والتضليل ، وهذا ما معناه أن السلطة– وهي

([1]) عبد القادر قوبع ، مرجع سابق ، ص125 .

([*]) ولد محمد السعيد الزاهري في سنة 1899م ببلدية (ليانة) ببسكرة استهل تعلمه في بلدته على يدي كوكبة من علماء أسرته. وكان أوّل ما بدأ به تعلّمه حفظ القرآن الكريم وتلقي بعض المعارف الأولى في العلوم الدينية واللّغوية، ثم تاقت نفسه إلى المزيد من ذلك فالتحق بدروس الإمام عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة ، انتقل بعدها إلى (جامع الزيتونة) بتونس ، كان الزّاهري كغيره من روّاد النهضة مصلحا، اجتهد في بث الوعي الدّيني الصحيح، ونشر الفكر الإصلاحي المستنير في صفوف أفراد الأمّة، كان الزّاهري من بين مؤسسي جمعية العلماء وأحد الأعضاء الفاعلين في مجلسها الإداري، أسس جريدة الجزائر تم الوفاق ، تم المغرب العربي توفي مغتالا سنة 1956م . أنظر عبد القادر قوبع ،المرجع السابق ، ص 54.

علمانية لائكية – تحمي هؤلاء المضللين وتساعدهم في الإستيلاء على عقائد المسلمين [1].

ويتهم هذا المصلح الطرقية بوضع المؤامرة معهم ، بل إن الفضل في نجاح المنصرين يعود إلي دعم بعض الطرق الصوفية لهم في كثير من البقاع الصحراوية .

ويذكر في كثير من كتاباته أن الطرقية كانت تتآمر ضد مدارس وكتاتيب الإصلاح مما أدى في النهاية بأطفال المسلمين إلى أحضان المنصرين فكتب مقال مطولا في احدى الصحف عن تنامي خطر التنصير في المناطق الصحراوية عنوانه : " **ألف وسبعمائة مسلم يرتدون**".[2]

ولهذا اقترح الزاهري سياسة دينية يمكن أن نصفها بالهجومية المعاكسة يدعو من خلالها إلى نشر الإسلام وإظهار محاسنه ، وفضح مخططات المنصريين، ولخص ذلك في كتابه (الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير) [3].

أما العمودي [*]فقد حذر في كثير من كتاباته الصحفية من تعليم البنات المسلمات عند الأخوات البيض ولو كان هذا التعليم مفيدا كالحرف وغيرها ،حيث كتب

([1]) عبد القادر قوبع ، نفسه ، ص 90 .

([2]) عبد القادر قوبع ،مرجع سابق ،ص 125.

([3]) عبد القادر قوبع ،نفسه ،ص 126.

([*]) ولد الشيخ محمد الأمين العمودي بمدينة الوادي سنة 1891م ،التحق أولا بأحد الكتاتيب القرآنية فتعلم القرآن وبعض مبادئ اللغة والفقه والنحو إلتحق بمدرسة قسنطينة الإسلامية.

أحدهم " ولقد ظن الكثير أن في تعليم بناتهن المنسوجات عند اليسورات (أي الأخوات بالفرنسية) خيرا كثيرا ،ولكن هل تعليمهن مقتصر على خدمة الصوف أم يتعداه إلى إدخال الكثير من السموم في عقيدتهن ؟"

وقد حاول المصلحون بأن يفهموا السكان بأن الهدف الحقيقي من وراء تواجد المنصرين بينهم هو غير الهدف المعلن وإنما القصد من تواجدهم هو إفساد عقائد المسلمين ومحاربتهم الإسلام [1].

ولمواجهة المنصرين والوقوف ضد خطرهم المتنامي دعا المصلحون إلى جانب التشهير بالمنصرين إلى خطوات عملية ،مثل إنشاء جمعيات إسلامية تدافع عن مقومات وعادات المنطقة ، أسوة بكثير من البلدان الإسلامية التي شهدت ظهور جمعيات وحركات إصلاحية .

وعموما يمكن القول أن الحرب على المنصرين قد أتت أكلها في مجتمع محافظ ومتشدد فأيقظه الإصلاح وعرّف له خطر المنصرين ويكفي أن نتبين هذه العاطفة من

انتقل إلى العاصمة الجزائرية قبيل سنة 1930م .ولقد كانت علاقة الشيخ العمودي برائد الإصلاح ابن باديس وثيقة وهو من أوائل الذين لبّوا دعوة ابن باديس أيام تأسيسه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، حيث اختير الشيخ العمودي أمينا عاما لمكتبها التأسيسي إلى غاية 1936م .وعن نشاطه الصحفي فقد اشتغل محمد الأمين العمودي في صحف كثيرة منها جريدة النجاح في أعدادها الأولى في العشرينيات من القرن الماضي، وجريدة الإقدام صاحبة اللسان المزدوج، والجزائر الجمهورية إلى أن أصدر يوم 24 يناير 1943م جريدة الدفاع بالفرنسية وقد استمرت إلى العدد 222 . على يد عملاء فرنسا 1957م، أنظر، عبد القادر قوبع ، مرجع سابق ، ص65 .

([1]) عبد القادر قوبع ، مرجع سابق ، ص 97.

لجوء الأطفال الميزابيين مثلا إلى غسيل أيديهم بعد تمدرسهم في مدارس ومراكز المنصرين قبل مصافحة الأهل لاعتقادهم بأن مجالسة ومصافحة الكفار نجاسة تستوجب إزالتها بغسل اليدين .[1]

(1) عبد القادر قوبع ، نفسه ، ص 126.